رسائل
بريد الروح
خديجة محمود عوض
كتوباتي
kotobati

بريد الروح

خديجة محمود عوض

رسائل

الكتاب: بريد الروح

تأليف: خديجة محمود عوض

النوعية: رسائل

الإصدار: 2024

التصميم والتنسيق: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

تنويه 4
إهداء..... 5
المُقدِمة 6
رسائل كُتِبَت إلىٰ الرَجُل المُستحيل 7
رسائل خُلِقَت من رحم المُعاناة 45
"رسائل مِن إنسيٍّ واجِف"..... 62
رسائل لَم يطوِهَا النسيان 78
رسائل كُتِبَت لأجلك..... 95
الخاتمة..... 108

تنـويه

وُجِبَ التنبيـه أنَّ هذهِ الرسـائل، لَـم أقصـد بِهَـا شخصًـا بعينِـه؛ لِذا لا تتفاجأ ـعزيزي القارئـ حينمَـا تجـد نفسـك المقصـود في رِسالتي.

إهداء

إلى نفسي بِدايـةً وخِتَـامًا، أهديهَـا هـذا الكتـاب؛ لأنـه الأحـب لِقَلبي♡ .
و إلىٰ كُـل مَـن ساندني برأيٍ وتشجيـعٍ، أحبـكم.

- خلـود عمـوري
- إسـراء مَجدِي
- شهـد إبـراهيـم
- سـارة نجـم الديـن
- إسـراء الزهدي

المُقدِمة

"ولأنَ الكتابة هيَّ الحَل الوحيد لِلهروب مِن وحشة العَالم، وَ قلق عَقلي؛ قَررتُ أن أكتبُ، كِتَابًا عن الأحلام، التي لَم أصل لهَا بعد ركضٍ طويل، والأُمنيات التي لَم يسمَح لنا القَدر بتحقيقها، عَن خيبات الحبيب، وخذلان الصديق، عن الدمع المحبوس خَلف قضبان العيون، عن الكلمات الخانقة، عن أُناس ماتوا وهُم يحلمون بالحياة، أو رُبّما أصِف بِهِ خيباتي في كل شيء أحبَبته وسلبته الحياة مني، بِحروفٍ مُفعَمَة بالحُبِ، ومُحيطَة بالحُزنِ، سأكتُب لِبريد الرَوح؛ حتى لا تخنقني الكلمَات" .

رسائل كُتِبَت إلىٰ الرَجُل المُستحيل

مساءُ الخير لِقلبك...

ولِقلبكَ كُل الخير، تلح عليَّ فكرة جَديدة، باتت تزورني بينَ اللحظَة والأخرىٰ، وبعد تفكيرٍ ليس بالطويلٍ أرتُ تنفيذهَا، كمَا أنني أعلَم أنهَا ستروقك جِدًا أيُهَا اللطيف، لَن أطول عليكَ يا عزيزي أعلَم أنكَ تمِل سريعًا مِن المقدمَات، أمَّا عن الفكرة فهي؛ أن أجمِّع رسائلنَا المُتبادلة بينَ طياتِ كِتاب؛ تخليدًا لِلحُبِ النقيَّ، كَم راقتني هذهِ الفكرة، وأثِق تمام الثقَة أنهَا ستروقك أيضًا، فكَم هو لطيف أن يكون هناك شَاهدًا علىٰ هذَا الحُب العذري، الذي لَم تممسهُ الخطيئة بَعد!

١

عـزِيزي السيِّـد ****

بَـعد السَّـلام والتحيـة الطيِّبَـة، أكتُـب أُولىٰ رسَـائِلي إليـكَ، في اليـومِ الرَابـعِ والعشـريـن مِن نـوفَمبِـر؛ لِأُخبِـركَ العَـديـد مِن الكلمَـات، التِي لَم أقدِر علىٰ البـوحِ بـهِا إليـكَ أثنـاء حديثُنَـا، ليـس لأنني أخشَـاك، ولَكن منعني تعلثُمي في الكلام - كعادتي دائمًا، أرجـو أن تكـون اعتدتُ عليهَـا - أمَّا عَن أولهُمَـا يَـا عزيـزي، أعتَـرف أنَنِـي لَم أجِد الآمـان إلّا مَعك، وفـي حضـورك يتلاشىٰ الخَـوف، الذي يسكُن قلبي ويتخـذهُ موطِنًـا لـهُ، حتىٰ أفكَـاري التي تفتك برأسي دائمًـا؛ تهدأ تمامًـا ولا أسمع لهَـا همسًـا، حقيقةً لا أسمَـع سِوىٰ نبضَـات قلبي، وهي تزداد عِندما تَتغَـزل بي، أشعـر بقلبي يتـراقص كَـفراشَـةٍ حُـرَّة.

و ثانيهُمَـا، حِينمَـا أهدَتني اليـوم قصيـدةٌ مِن الشِعـرِ، وأخبَرتني أنهَـا كُتِبَت لأجلي، شعـرتُ بنسَـائِم الحُـبِّ تنقلُني وتطيـر بي في سمَـائـك، حتَي لامسـتُ القَمـر وأقصُـد بالقَمـر -أنـت.-

وثالِثهُمَا، لَم أكفُ عَن الانصَات لِصوتِكَ العذب، ولا عن التحديق في صورتك أيُهَا الوسيم، وهذا إجابةٌ لِسؤالك الذي سألتني إجَابته منذُ فترة.

ورابِعهُمَا، أود إخبَارك بأمرٍ هام جِدًّا، لَم أكن أبتعِد عنكَ؛ لأنَني لا أُريدك، ولكِن لأن؛ الغيَابُ أحيَانًا يمنحنَا القُدرَة علىٰ التَحقُق مِمَّا نشعرُ بهِ تِجَاه الأشياء والأشخَاص تحديدًا، و إنَنِي بِكُلِ مرةٍ كنتُ أُقرِر بهَا عَدم العَودة؛ خوفًا أن تحرِقُنِي نَار الحُبِّ، التي قرأتُ عنهَا كَثيرًا، أعتَرِف الآن أنَنِي لَم أقدِر علىٰ تجَاوزَك، ولَن أتجَاوزكَ أبدًا، فكَيفَ لي أن أفعَل ذلِك بعدمَا وَجدتُ راحتي وآمَاني ؟

خامسهُما والأخير، لا أُريد أن أعيش ما تجَاوزتهُ بوجودك، لا أحِب أبدًا أن أُجرِب الخَوف والقلق مرةً أُخرىٰ، أخبرتُكَ علىٰ مراتٍ متفاوتة؛ أنَّنِي أخَاف الليّل والوِحدة، يُلازمني إحسَاس الثِقَل، ويصور لي عقلي دائمًا، أنَّنِي ثقيلة كَثِقل جِبال الأرض، ولكِن كل هذه المشَاعِر السلبيَّة بدأت في الهروب واحدة تِلو الأُخرىٰ؛ حتىٰ فَرِغَ عقلي مِنهَا تمامًا، وهذا حَدثَ في حضورك فقط؛ لِذا أريد العَيش الباقي من عُمري بِصُحبَتك يَ عزيزي .

٢

رِسالة إلىٰ الرَجُل المُستحيل

هَل فكرت من قبل فِي الحياة بدون الحُب ؟!
برأيك هل ستكون كما نعيشها الآن، أم أنها ستختلف ؟!
إن كنت لَم تفعل، أريد أن أُهنئك..
التفكيرُ مُتعِب، يتغذىٰ على الدِماغ كوحشٍ مُفترس، ولَكن ما توصلت إليه بعد حربٍ طويلةٍ مع التفكيرِ؛ وجدت أنَّ الحياةَ ستكون مُخيفة، صامتة، بل جامدة لا تنبض بالأملِ أو العملِ، كالسماءِ ليلًا بدون نجوم أو قمر يُزينهَا، كوجبةٍ مكوناتها مُفيدة، لكنهَا سيئة الطَبخ، كَهمومٍ كثيرة لا طاقة للمرءِ بحملِهَا، هذهِ هيَّ الحياةِ بِدون حُبٍّ، وهذا ما كُنت أعيشه قبل أن أعرفك، لا أعلَم هل لقاءنا صُدفة أم ترتيب قَدر، ولكن في كلتا الحالتين أشكر الرَب علىٰ هذهِ النعمة، عزيزي أُحبُّكَ بِكامل فوضويتكَ وأشيائِكَ المُبعثَرة، وغموضك القاتل، أُحبُّكَ جُملةً وتفصيلًا، أُحبُّكَ بِدُفعةٍ واحدةٍ وتمهلٍ مميت، أُحبُّكَ بكلِ نقصٍ بداخلي اكتمَل بوجودكَ، أَحببت

الإختلاف عِندما اِلتقيتك، رُغمَ كُرهي الشديد للفوضوية أحببتها فيك، أخمدت شعور كُرهي للنظام والترتيب، قبل أن تجمعنا الصدفة كنت مهووسة بالتفاصيل، وأكره الفوضىٰ وأهلها، ولكن الآن أصبحت تستهويني اللوحات الفنيَّة المُبعثَرة، وأرىٰ فيها ما يروقني!

ليس عندي تفسيرًا واحدًا لهذا التغيير، ولكنني أعلم أنك سبَبًا في ذلك، لا ريب..

٣

عزيزي يَا صَاحب الظلِ الطويـل:

اعتَدتُ الكِتابة مِن أجلَّك ولِأجلّك أيضًا.. فَأنَا كُلما اشتقتُ إلى ظِلك، الذي طالما رافقني مدى أيامي، أجد نفسي أقبع في رُكن غُرفتي، ومن ثُمَّ أشرع في سردِ أحداث يومي على أوراقِي الجَمَّة، وفي كل يومٍ أُعيد على مسامعي ما خَطَهُ قلمي، ظنًا مني أنني هكذا أُخبركَ ما حدثَ في يومي أثناء غِيابك المُفاجئ، لقد بدأ ظِلُّكَ في الابتعادِ شيئًا فشيئًا حتى أصبح لا يُرى بالعينِ المُجردة.. أحقًا اختفى مثلك أنتَ؟

أتذكر عندما كنت تأتي لِتُبعد وحش وحدتي عن قلبي، أتذكرك وأتذكر كُل تفاصيلك المُحببة لِقلبي، كما تعلم يا عزيزي أنا أُجيد الثرثرةِ معكَ فقط، وحدكَ لا سِواك، ولكنني.. رُغم حُبي لِلكتابةِ لن تُغنيني عن وجودك فالكلام معكَ لا يفنى، ولكنه يُستحدث من العدم.. أشتاقُ لِدفء ظلَّك كثيرًا؛ فأنتَ كالشمسِ بثَت أشعتها الدافئة؛ لِتنتشل روحي من الزمهرير؛ لِذلك سأظل

أكتب لَك لعلّ في مرةٍ يُحالفني الحظ وتقرأ ما كُتبَ لأجلك، وسيظل صوتي يَنطق بحروف اسمُكَ ـ عزيزي صَاحب الظلِ الطويـل ـ لعلَّ صدى صوتي يصلك فَتعود لِمَن اشتاق لكَ ..

٤

إليكَ أكتُب، أيُهَا الكَائن الأروَع:

بعدَ السَّلام والتحيَّة الطيبَة التِي لا تليقُ بغيرك.. في هذهِ اللحظَة تحديدًا أكتُبُ لكَ؛ لأنني افتقدتُكَ رُغم مراسلتك لي اليوم، أعلم جيدًا عنَاء العَمَل، وأعلم أيضًا أنكَ مُرهق جدًا، ولكِنكَ تستحق الأفضَل دومًا، والأفضَل لا يأتي إلَّا بالجُهدِ والمُثابرة يا عزيزي، أنتَ عظيمٌ جِدًا، وأنا فخورة بمحاولاتك حتىٰ و إن كَانت صغيرة بنظرك، أُحِب كِفاحك وطموحك، وأُحب كونكَ تُحَاول، أمّا عني، فَلَن أكُف عن مُساندتك حتىٰ تحقيق الحلم، لَن أمِل، ولن أكِل مِن تشجيعك؛ لأنكَ تستحق كل ما هو جميل، لا أعلم لِما أفشَل في كل مرةٍ أنوي بِها الكتَابة إليك، وكأنني لأول مرة أتعرف على حروف اللُغة!!

كُلمَا قررت أن أبوح لَك بشيءٍ؛ أضيف فشلًا جديدًا في قائمة محاولاتي، - أرجو أن تنجح هذه التجربة - وددتُ أن أشكُرك؛ لأنكَ دومًا هُنَا، وأنك رُغمَ مصاعِب الحياة لا زِلت تُحَاول، كما أنني وددتُ أن أسألك سؤال يشغلني

في هذهِ الفترة.. "ماذا فعلتُ بي؟ وأي لعنة تلوتهَا في الأسحَارِ؛ كَي تأسرني؟."!

٥

أهلًا بِك مُجددًا أيُهَا الوسيم..

كم تذكّرني بصاحب الظلِ الطَويل، وكم تذكّرني بقصر قامتي وأحلامي! لأول مرّة أُحِب المرة الأولىٰ في أي شيء، وكل شيء، دعني أشرح لَك.. فأنا يـ عزيزي لأول مرة يزور قلبي الحُب، لأول مرّة أُجَرِب دون أن أخشىٰ شيء؛ وهذا بسبب وجودك الذي يملأ قلبي بالآمان، أحببتُ مَعك ما كُنت أخشاه، أحببتُ المكالمات الهاتفية التي كانت بِمثابة عُقدة في حياتي؛ وهذا بسبب صوتِكَ العذب أيُهَا الجميل، صوتِكَ الذي اخترق مسامعي سهوًا مني، فَقبلِكَ ما اقتحمني صَوت رجل قِط - غير محارمي- وكَم أنا سعيدة باجتيَاحك الأول لأسواري المُشيَّدة، أتذكر أُولىٰ رسائلنا عِندما حدثتني عن الحُبِ، وأخبرتني أن الحُب لا سُلطةَ لنَا عليه، ويأتينا غفلةً، حينها أخبرتُكَ أنني لَن أسمح له أن يخترق حصون قلبي، وأنني سأتحكم بِقلبي جيدًّا، ثم ضحكتُ ساخرًا مني وقُلت لي "لِنرىٰ إذًا" وقد كان هذا التحدي، هو أُولىٰ

خُطوات المعركة بين قلبي وأنـتَ، وها أنا ذا جئت أُعلِن فـوزك "بقلبي"، ولكن يراودني سؤال عجزت عن إيجاد إجابة لـهُ، مَـن أنـتَ قُـل لي ؟..!

ولِمَا تبدو الأشياء أزهىٰ وأروَع وأنتَ في الحِوار؟

تحدثنا هاتفيًا بعد أشهُرٍ طويـلة مِـن المُحادثَـات الفيسبوكيـة،

وها قـد آن لِسعادتِي أن أزُفهَـا بحروفي إليـكَ .. أيُهَـا العَـزيز الوسيـم، أيَّـلامُ قَلبي بِمَـا هوىٰ، أم عينَـاك بِمَـا أغـوتني تُـلامُ!

٦

إلىٰ الرجُل القابع في قَلبي، العالِق في ذاكرتي..

منذ أخر رِسالة كتبتُها لَك،
والحياة من حولي تتلاشىٰ،
الواسع يضيق بي،
الليل أصبح طويلًا جِدًا،
والذكريات تلتهم عقلي،
حتىٰ النَوم بدا لي حُلمًا مُستحيلًا،
والوحدة تلتهمني كوجبةٍ دسمة.. لا مفَر،
ورغم كل هذا الضجيج إلَّا أنني ما زلت أرجو لُقياك، الذي يجعلني أخَف، كرِيشةٍ حُرَّة تنقلهَا نسمات الهواء، فتطير هُنَا وهُناك .

٧

كتبَتُ لَك هذهِ الرِسالة مِن مكانِنَا المُفضَل "البلكونة."

الآن.. أتأمَل النجومَ وأتخيلكَ، تُشبِه النجوم كثيرًا في تأثيرها الملحوظ على السماءِ الواسِعة، التي تُشبِه حياتي الفارِغة - بدون وجودك- فأنتَ تُضيئ حياتي وتُزينُهَا، وتُضيف عليهَا ما يُميزهَا ويُزهرهَا بعد موتها، النجوم في هذهِ الليلَةِ تلمَعُ أكثَر مِن أيِّ وقتٍ مضىٰ، فيجتَاح قلبي شعور بالألفةِ، كُلمَّا رفعتُ رأسي وتأملتُ السماء المُرصعة بالنجوم؛ يُملأ قلبي بحنِينٍ وافِر لسنينٍ طِوال من الحُبِّ، وبهجةٍ تزيل همي، وكأنني أحيَّا الحياة وأعرِفُهَا لأولِ مرَةٍ بحضرتِكَ، ما بِداخل قلبي يُستحال وصفه، و إن أتيتُ مستعينة بكل لُغات العالم، ليسَت هُناكَ حدود لِمَا أنا مُستعُدة؛ لأن أشعُر بهِ من الحُبِّ تجَاهكَ، فمنذُ أن عرفتُكَ، وأنتَ لا تتوقف عَن كونِكَ أفضَل ما حدثَ لي في حياتي، كُن بخيرٍ من أجلي، فأنا أُحبَّك.. حتىٰ يبلغ الحُبِّ مُنتهَاه .

٨

عزيـزي يـا صَـاحب القَـلب الجميـل..

لَم يكـن حُبِّي لَـك بإرادتي، حتى أنني إلىٰ هذهِ اللحظَة لا أعلم كيف أحببتَـك !!

قـاومتكَ كثيـرًا، ومِن ثُـمَّ وقعِتُ في شِبـاك حُبِكَ، كنتُ - أنـا- دائمًـا كالسَـمَك، الذي لا يحيَا بـدون الماء، حتَّـى قابلتَـك؛ فأصبحتُ كالسَـمَك الذي يُهـرول تِجاه صائده المـاهر بِعملهِ، ويُدخِل شِبـاكه بإرادتَـه، قاومت حُبِّـكَ مرارًا وتكرارًا، ولكنني بالنهايـةِ استسلمت لِقلبكَ، الذي لا يُقَـاوم، لَم أُخدَع فيـكَ، ولَم أُجبَـر أيضًـا، ولكن كان في وجودكَ شيئًـا لذيذًا، يُـهدِّئ مِن روعي وقلقي الدائـم، يجعلني كالسُـكارىٰ، أتجَـرع منه كيفمَـا شئت، دون كللٍ أو مَللٍ، حتَّـى و إن عُدت إلىٰ رُشدي أطلب المزيـد؛ فأسكَـر في حُبِكَ للأبَـد.

٩

ما زادنِي وجودكَ إلَّا حُبًا لِلحياةِ عامةً، ولِذاتي خاصةً، أُحِب نفسي؛ لأنَّكَ أخبرتَني بِحُبِّكَ لهَا، يزورني طيفُكَ كُلمَا أرهَقني التفكير في المُستقبل المُبهَم، أو المَاضِي المُلطَخ بالأسود، ولَكِن يزول كل ذَلِك بِمُجَرد وجودكَ، كالجَليد عِندمَا تسطَع عليه الشَمس الحَارِقَة، تتلاشىٰ الأفكَار كُلها، وتهَدأ الأصوات بِداخِل رأسي تمامًا؛ فَلا أسمَع لهَا همسًا، وتُزهِر البساتين الخَاوية على عروش قلبي، فَتنبتُ ورودٌ حمراء علىٰ وجنتَيَّ، فَأقع في حُبِكَ ثَانيةً .

١٠

مرحبًا بِك يا عزيزي..

لا أعلم سببًا لِكتابتي لَك هذه الرِسالة، ولَكن كعَادتي دائمًا أكتُب لَك بِلا سببٍ، فقط كُنت أقرأ رِوايتي المُفضلة، وأثنَاء القراءة صَادفتني جملة "العِلاقات الإنسَانيَّة تَصعد ولا تنزل" وهذه العبَارة ترتَب عليها سؤال أعلَم أن إجَابته عندك، لِمَاذا العلاقات تصعد ولا تنزل يا عزيزي؟

لِماذا درجة الحُب في العلاقة أعلى مِن درجة الصَداقة، رُغم أن الصَداقة هي التي كوَّنت الحُبِّ؟

:'_____

١١

أتسَـاءل، مِن أي نَعيـمٍ خُلِقت، وأي الطاعَـات فعلتهَـا أنـا؛ كَي يُكَـافئني ربي بِـك؟

لَا أراك، ولكنِّي ألقَـاك في الحُلم واليَقظَة، تَصـالحتُ معَ نفسي، و أحببَتَنِي وتَقبَلتُ العَـالم، حِينمـا التقيتُ بِك، عَـفوتُ عن كُـل مَن تركَني لِـوحدَتي، لَم يُهمني غيـاب أي شخص، ولكـن غيـابك يشعرني بضيـق الكـون، رُغم اتسَـاعه، و وَدعتُ الخـوف لأول مَـرة، استقبلتُ الآمـان بِكل سـرورٍ، أَحببتُ عيـوبي وتقبلتُهَـا، لَـم أعُـد أرىٰ عيـوني عاديَّـة منذُ أن أخبرتَـني أنهَـا مُميـزة لِلدرجة التَي أوقعتَـك بِشبـاك حُبي، أعَـلم أن ثَرثرتي وكلامي الغـير مُرتَب، يُزعِج كُل مَن يُحـاورني، إلَّاك.. لا يؤنسـني سِواك، ينبلجُ الحُـزن ويَتبدد بِمُجرد رؤيـة عينَـاك؛ حقًا لا أعَـلم ماهيـة ما يحـدث لي، ولا أعَلم كَـيف أصِف لَك ما يَحـدُث لي، وَ لكِن إن كـان هذا هـو الحُب؛ فَأنَـا أُحِبَّـك .

١٢

حُبِكَ بحرٌ هائجٌ، والكُتابة سُترَةُ النجَاة، أخبرني يا عزيزي هل جَربت الحُب؟

هَل تشعر بمثل ما أشعر به؟

قيل لي عدة مراتٍ أنني امرأة فَريدة، في الحُبِّ خصيصًا، أعرف أنك لَم تفهم حديثي..

لذا؛ دعني أشرح لك..

فأنا يا عزيزي حينمَا أحب شيئًا في الحيَاةِ، أو شخصًا مَا أوَل ما أفعلَهُ هو تقبلَه بكل ما يراه العالم من عيوب، أُقبلهَا وأتقبلهَا، أُشاركه جُل أموره الحزينَةِ منهَا والمُفرحة، أكتُب له العديد من الرسائل، وأُحكي لَه مئات القَصص، وأُسرد لَه ألالاف الحكايَا، أحتويه كَطفلٍ صغير، وأشجعه كأمٍ تُعَلِّم طفلهَا كَيف ينطق اسمهَا، أحبه بقلبٍ صَادق في الحُبِّ، وأُفضله حتى على نفسي.. قيل لي أيضًا من مصادر موثوقة أن لي قلبًا لا يُقَاوم، فكيفَ قاومت حبي لَك؟

كيف تُقابل تربيت يَدي بِصفعةٍ علىٰ وجهي ؟!

أنتَ رفضت حُبي لَكَ، وطعنت هذا القلب الحنون بخنجرٍ مسموم، أمَّا عني؛ فأنا سأظل أكتُبَك حتىٰ النفس الأخَير لمحبرتي.. وبين آنٍ وآخر سأظَل أحبك.

١٣

لا أعرف كيفَ أحببتَك، ولا متىٰ وُلِدَ حُبكَ بِقلبي العذري!
لا أعلم ماذا حدث لي حينمَا طالت الأحَاديثُ بيننَا، وكَثُرَ اهتمَامك بي!
أعترف لَك أنَك أذكىٰ رجل رأيته، استطعتُ بطريقةٍ جيدَّة مُعالجة بغضي للحيَاة، وبسببكَ أنت عرفتُ أن للحيَاةِ لونَيّن، وأنهَا ليسَت رُماديَّة دائمًا كما كنتُ أظُن، ولكنهَا تحمَل في رحمهَا لونين: الأبيض، والأسود أيضًا، وبواسطة الشَخص الصحيح يسهُل عليّكَ معرفَة ماهيَّة لونهَا بشكل أدَق، وبصُحبتك التي لَم أشقى بِها أبدًا عَرفت أنَّهَا بيضَاء اللون، جميلة كالغيوم والسحَابِ تمامًا، في بداية صداقتنَا قُلتُ لي أن "الاهتمَام أجمَل مِن الحُبِ" حينهَا قلتُ لَك: "رُبما" ، ولكنِي أقرُّ أنكَ دائمًا على صوابٍ، أنتَ مُحِق؛ فالاهتمَام هو الابن البَار بَالحُبِّ، والصديق الأقرب لهُ، فلو لا وجود الاهتمَام، ما كان للحُبِ أن يكون أسمىٰ درجَات العِلاقات الإنسَانيَّة، تؤسرني طريقتَك في الاهتمام، وتُعيد ترميمي مِن الداخِل، يصعَبُ عليَّ معرفِة كَيف وقعتُ في حُبِكَ إلىٰ هذا الحَد، أنا التِي كنتُ لا أؤمِن بِقصص الحُبِ، أصبحتُ الآن مِن إحدىٰ حكاياه، دائمًا كنتُ مِن مَن لا يبَالون بِه،

ولا يصغـون لِقصصـه، أصبحتُ اليـوم أنا التي تُحكي كيـفَ انتهىٰ بِها المطَـاف "مُحِبَّـة، وحبيبَـة."

إيجَـازًا للقـولِ، نعَـم أنا أُحبَّك .

١٤

فِي الثَانية عشر مِن مُنتصف الليل، كُتِبَت هذه الرِسالة..

مِن أجلَك يَخطُ قلمي ما يُمليه عليه قلبي، وتحضر الكلمَات، فَتتدفق الخواطر في عقلي، لأجلِكَ أكتُب ما تنسجه الكلمَات، مِن خيوط الحُب، فتُزيد رِباط القَلم بالقَلب، حتَّى يُسيل حبر القَلم، وينزف بيّنَ يديّكَ حِبرًا منزوع الراء ـحُبًاـ

يا مَن قبلُكَ لَم أكُنَ مذكورًا، وبعدكَ لستُ إلَّا عبثًا لا يُذكَر، أعترف أن حُبك هو الحُريَّة، التي كنت أحلَم بهَا يومًا ما .

١٥

عزيزي الوسيم..

أكتب لك من عمق الأشواق والحنين، وقلبي يعبق بالحب والصبر في غيابك القسري خلف قضبان الحياة، أحمل معي أملًا قويًا و إيمانًا؛ بأن اللحظة ستأتي وتحمل مفتاح الحرية.

أعلم أن القدر وضعنا في امتحان صعب، ولكن يظل الحب الذي نحمله في قلوبنا، هو ما يمنحنا القوة للمضي قدمًا، رغم الصعوبات والمحن، ستبقى روحك حرة وسأظل أنا هنا، معك بكل تفاصيل الحياة التي نستمر في مشاركتها سويًا.

أفكر بك كل لحظة، وأتمنىٰ أن الأيام تمر بسرعة، و تحمل معها الحلو والفرح، لا تنسى أن حبنا أقوى من أي قيد، وسوف نلتقي مجددًا بحرية وسعادة.

ابقى قويًا وثق أننا سنتغلب على هذا الظلام سويًا.

مع كل حبي ودعواتي لك .

١٦

مـرحبًا بِكَ يـا عزيزي

أود أن أخبـرك بشيء هـامٍ جِـدًا،
تتذكر أخر رِسالة كتبتُها لَك ؟!
أخبـرتُكَ فيهَـا أنَنِي سأحـاول أن أجِـد سبيلًا وأُخبر العالم بشأننا..
منذُ تلك اللحظة التي كتبتُ فيها رسالتي لَكَ، وأنـا سجينـة الأفكَـار السوداويـة، تذكرت حديثك عندما أخبرتني أنَنا سنظل خائفين من المُحاولة دائمًـا، وأن المُحاولة هي التي ستُنهي هذا الخَـوف، تشجعتُ لبضع دقائقٍ فقط، ومن ثُمَّ عـاد الخَـوف يأكـل قلبي، فأيقـنت أنني لَـن أفلـح أبـدًا .. يُمكنك أن تنعتني بالضعيفَـة، الجبانة، يُمكنك قـول أي شيء، فأنتَ مُحق بلا شـك، الأمـر مُعقد وصـعب جِدًا أن أقـوم بـهِ وحدي!
نحنُ مُقيديـــين بعاداتٍ وتقَـاليدٍ لا يُمكننا ألا نهتـم بها!
كيـف لـي ألا أهتـم لها، وهي التي تقييدني، هل لَك بإجابـةٍ علىٰ سؤالي ؟!
أنتظـر إجابتـك في أقـرب وقـتٍ، أرجـو منك تفَهُـم كلامي ..

١٧

جيئت لأكتب لَك في هذه الليلة تحديدًا.. بعدمَا انتهى اليوم بشِجارٍ عنيف بيني وبينَك ـفي مُخيلتي ليسَ إلاـ كنتُ قاسيًا جدًا معي لدرجة لا أتخيلها، ظللت تلومني على اهتمامي بكَ الزائد عن الحد، وعن غيرتي اللامُتناهية، وعن إلحاحي وتعليماتي لَك كطفلٍ صغير.. وحينمَا قلت لَك أنَني أخشىٰ عليكَ من كل شيء، وأي شيء كَخوف الأم على ابنهَا المُدلل.. أخبرتني أنكَ لا حَاجة لَك بخوفي و... وحُبي لَك!!

حينها فقط، شعرت أن نِياط قلبي يُمزَق، وأصوات كسره تعلو تدريجيًا، ودموعي تتساقط كزخاتِ المَطر في ليالي ديسمبر الباردة، مكثتُ أردد بصوتٍ عالٍ؛ حتى لا أستمِع لصوت تحطيم قلبي وأقول: "عزيز قلبي لا يُمكن أن يُمس قلبي بسوءٍ" لا عليك أبدًا ولا يمسِكَ حزن، أنا لَن أُصدِق هذه الأكاذيب مهما حدث، أعدِكَ ألا أفعلها، أعلَم أنني صرتُ أخلِق سيناريوهات لا تمت للواقعِ بصلةٍ، وأنَّني لا أستطيع السيطرة على أفكاري السوداوية، ولكن لا أُخفيكَ سِرًا ما زال قلبي يؤلمني من التخيلِ فقَط.. هذهِ

الرسالة ما هي إلَّا فضفضَة ليس إلا؛ لِذا لا تهتم بقراءتهَا، وسامحني على ثرثرتي الغير مُجديَة أبدًا.

١٨

مرحبًا مرةً أُخرىٰ..

انقطعت بِيننا الرسائل منذُ أسبوعين تقريبًا، أجدتُ الكِتمانِ كل هذه الفترة، ولكنني الآن أكتب؛ لأخبركِ أن قوتي قَد خَارت تمامًا، قُدرتي على الكِتمانِ استُنزِفَت بالكَامِل، أكتب لَكَ الآن ودمعي يسبق قَلمي، لا أعرِف لِمَ الآن أبكي، فأنا بالأيامِ الماضية، لَم أقدِم على البُكاء مُطلقًا!!

دعنا مِن البُكاء الآن.. أنا بِحاجة لَكِ يا عزيزي، أنا بِحاجةٍ لكلماتكَ الطيبَة، لِتربيتة يديكَ الحنونة الدافئة، ولِنظراتكَ المُطمئنة المُحملة بالحُبِ والآمان، برغم أننا لا نعيشُ ببلدٍ بارد الطَقس؛ إلا أنني أشعر بالبردِ يبتلع قلبي وصقيعُ حاد ينخر عظامي، بِمثل هذا لم أشعر بهِ في وجودكَ، الدفءُ كان يُغلف قلبي ويحاوطهُ، وبكلِّ لَيلةٍ أتذكر بِها خذلاني مِن أقرب الناس لِقلبي، أشعر بتضاخُم ألم الواقعة الأولى من صدمة الخذلان، أشعر بنفس ألم السكين

الذي غُرِسَ بقلبي أول مرة، أصبحت تقتلني نظرات العيون، التي كانت مأمني من العالم، لا أعلم أين المفر!!

١٩

في السادس عشر مِن ينَاير الحزين تم كتَابة النَص.

عزيزي كيف حالك أولًا، وكيفَ تسير بِك الحياة بِدون لقاء، أو حديثٍ بيننَا ؟!

آمَل أن تكون جُل أمورك على ما يُرام، وأن يكون مسكن قلبكَ السعَادة، رُغم علمي أنك لَم تسأل عن حالي، ولَم تفعَل، حتى و إن أردتُ أنا ذلِك، فَاسمح لي أن أُخبرك أنني لستُ بخير البتَة، وأن الحياة تُرهقني وتنتزع روحي رويدًا رويدًا.. اليوم أرخيت يدي، وتركتُ العنان لِما كنتُ أتشبثُ بِهِ بقوّةٍ، تُدهشني الحياة كل يَومٍ، ويُصعقني ما أصبحَ الناس عليه، مِن فسَادٍ في الأرض، وكرهٍ بلا سببٍ، وفي كل مكانٍ تَجِد أعيُن ثاقبة غير مباركة.

٢٠

أيقنت اليوم أننَا الشيء ونقيضَهُ تمامًا، كالشَرق والغربِ، شتان ما بيني وبينَك، كُل شيء يُخبرني بطرقٍ مُبَاشرة؛ أننَا لَن نجتمع أبدًا، فَكيف للشرقِ والغرب أن يجتمعَا ؟!

المنطق يخبرني أن قربنا مُستحيلًا، والواقع يُنفي جميع أحلامنا، والقدر؟!

لا يعلمَهُ إلّا ربِّ العالمين،

تمنيت لو أن أحدنا لَم يعرف الأخر،

ما كُنَّا سنُعذَب مثل الآن!

ليتَكَ لَم تكُن ضيف أفكاري يومًا،

ليتَكَ لَم تُخرج من بين السطور، التي كتبتُكَ عليهَا،

ليتنِي لَم أتعرف عليكَ في مُخيلتي حتىٰ.

ليتني لَم أكُنَ شيئًا مذكورًا، يشعر بوخز الفراق في قلبه.

ليتني لَم أحبك!

٢١

الثَانية عشـر مِن مُنتصـف الليـل..

هـا هو الليـل الكئيـب قَـد انتصَـف،ـ كَـقلبي تمامًـا الآن ـ
يا للسخريةِ، لَم أتخيل أبداً أن هذا القلب الصَلب كالحجر، سيأتي عليه يـوم ويُشطر لنصفين بـواقع كلمة سقطت عليه كالسكين ؟!
مسكينة أنـا، لم أكن أعرف أن الحب يجعل المرء هاش كـريشةٍ في مهب الريح!

كنتُ منذ دقائق قليلة تُعَد، أُقسِم أنَني لَن أُغفر لَكَ هجرك، وبمجرد أن أنـار هاتفي اللعيـن مُعلنًا على وصـول رِسالتك، أُضيئَت مصابيح قلبي، ونسيتُ مَا كنتُ أُخطط لفعله؛ كي يكـون عقابك قاسيًـا، ولكن يدي رَجعت صفرًا خائبةً، وتناثـرت أشلاء قلبي هنـا وهنـاك، يا ليتني لَـم أُقدِم على قراءة رِسالتك، يا ليتني تمَهلتُ ولو لقليلٍ، يا ليتني لَم أحبـك، أيُهَـا الغبي.. دعني أُخبرك

أنَّكَ أفلت جوهرةً لا تُقدر بكنوز العالم، أفلت من يديكَ قلبًا أحبكَ بصدقٍ، وسيُحالفكَ الندم ما دُمت حيًّا تُرزَق..

والسلام.

٢٢

اليوم.. لَن أُلقي عليكَ السَّلام،
ولَن أُحبَّك ـلبضعِ ثوانٍ فقطـ
فالقلب الذي كَان مملوءًا بِبحار حُبك،
صار اليوم مُتأججًا بنيرانِ بغضَك،
تعلَم أنَّ قلبي مُتيَّم بِك،
وأنَّ تعلقي بالأشياء التي أُحبها يزداد،
وغيرَتي أيضًا تزداد؛
فمَا رأيكَ بشخصٍ أقرَبُ لي من نفسي؟
لِمَا تختبرني إذًا ؟!
أترضىٰ لقلبي المسكين العذاب ؟!
لعنَة اللّٰه على الحُب،
الذي يصنع مِنَّا نسخة هَاشة،
كَريشَةٍ بمهبِ الرِياح الهوجاء،
لا أعلَم مَا الغاية مِن إخبارك لي،

بتشجيع مُديرتَك في العمَل لكَ؟!

ولكن ما أعلمه جيدًّا وأثِق به،

أنَّك لَن تجد مَن يُقدم لكَ عمرًا، وقلبًا،

وحبًا مثلي أنا، حتى و إن زرتُ أخر بقاع الأرض شرقًا وغربًا،

لَن أُطيل عليكَ...

و إلىٰ هُنَا وانتهت رسالتي،

بعد أن أبى قلمي أن يخط لَكَ المزيد،

العالق بقلبي المشحون بالبكاء المكتوم.

٢٣

إلىٰ الرَجُل الذي كان يومًا الأحب لِقلبي ..

اثنان وعشرون رِسالة كُتبت لَك بكلِّ حُبٍّ ومشاعر صادقة، علىٰ الرغم من أنني لَم أستلم ردًّا واحدًا علىٰ رسائلي السابقة، وما دمت لَم تُرسل رسالة تمنعني فيها من الكتابة لكَ، فلَن أمتنع، والسبب وراء ذلك؛ أنَّنِي أريد أن أُنهي هذا الوجع، الذي سكَن قلبي بسببك أنَت، كتبت لك الكثير، ولكنك لَم تَرد على أي منهم، أحببتَك في رسائل كثيَرة، وقدمت فيك شكوىٰ لَك، وبكيت، وغضبت، واعتذرت، وفعلت كل ما بوسعي؛ كي أحافظ عليكَ، و رُغمَ كلِّ ذلك لَم يتحرك الحجَر، الذي يستوطن يسار صدركَ، ما بال قلبَك لا يميل للذي يتمنىٰ له كل الأمنيات الطيبَة ؟!

أعترف الآن أنَني فشلت في الحُبِّ أيضًا، ذلك الذي راهنت عليهِ بقلبي، فكانت النتيجَة تمزيقه إلىٰ أشلاءٍ بفعل الحب لا الحربِ!

ها أنا ذا أعدُّ على أصابعي خيبَاتي، انتهَت أصابعي، والخيبات لَم تنتهِ، لا زلت وبشكلٍ ما يزورني طيفكَ؛ فيجعلني تعيسة لأيامٍ وليالٍ طوال،

وكلمَا سمعتُ اسمك يخفقُ قلبي كأوَّلِ مرةٍ أخبرتني فيهَا أنك تُحبُّني؛ فيعود شريط الذكريات يداهم رأسي؛ فأسقط صريعة الحُزن مرةً أخرىٰ، بشكلٍ أو بأخَر، أنتَ لعنة أُصبت أنا بهَا، ولَن أشفِ منهَا أبدًا.. مهما كثرت المحاولات للنجاةِ منهَا ..

لأولِ مرةٍ أنا أكرهك.

رسائل خُلِقَت من رحم المُعاناة

١

في دفَتر مذكرات قديم، كتَبت امرأة أرهقها الفراق والمعاناة هذهِ الرِسالة.

إلىٰ مَن يهمهُ الأمر،

أكتب هذهِ الرسَالة، وأنَا أشعر بثقل الكلمات علىٰ قَلبي، كُلُّ حرفٍ يَحمل قصةٍ من المُعَاناة والأملِ المفقود، لَم يكن الطَّلاق خيارًا سهلاً، ولَم يكن قراري بِتَرك الحياة الزوجية إلّا بعد أن استنفَدتُ كل ما لدي من صبر وقوةٍ، عِشتُ سنوات من الأَلم والصراع النفسي، محاولَاتي لإنقاذ مَا يُمكن إنقَاذه، كَانت تتكسر أمام جِدارٍ من اللامُبالاة والظُلم، كُنت أحلم بحياةٍ هادئة ليس إلّا، لَكِن الواقِع كَان قاسيًا، والعيشُ تَحت سقفٍ واحدٍ، أصبَح عِبئًا لا يحتمل، الآن.. وأنا أعيش حياة المُطلقة، أواجه تحديات لم أكن أتوقعها، المُجتمع ينظر إليّ بعينٍ الشفقة أو الانتقاد، وكأَنَني وحدي المسؤولة عن هذا الفشَل، أتحمل عِبء تربية أطفالي بِمفردي، وأعمَل؛ لأوفر لهم ما يحتاجونه، أحاول أن أكون لهُم الأمِ والأبِ، وأن

أمنحَهُم الأمـانِ الذي لا أعـرف عنهُ شيئًا، والحُبِّ الذي أعـرفهُ من القصص التي أقرأها، كل يَومٍ هو معـركة جديدة، معركة ضد نظرات الناس، وضد الأحكَـام المُسبَقة، وضـد الوحـدة، التـي تلتهمـني في الليـالي الطـويلة، أكتُب رسالتي إلىٰ كـلِ من يقـرأها، اعلَموا أن الطَلاق ليس هـروبًا، بَـل هو قرار صَعب يتطلب شجاعة وقـوة، أن تكـون مطلقًا؛ يعني أن تواجـه الحيـاة بِمفـردك، وأن تُعيـد بـناء نفسـك مِـن جَديد، لا تحكمـوا عليـنا، بل ادعمـونا؛ لأننا نحـاول أن نبدأ من جديد لما تبقى مِنَّا من ركـام الحَرب، أكتبُ هَـذِه الكلمـات؛ لِأخبـركُم أنني ما زلـت أحـارب، رُغمَ كل شيءٍ، وسأظل أقـاتل من أجل حياةٍ أفضـل، الطلاق لم يكن نهايـة، بَـل بِـداية جَـديدة، رُغم صعوبتـها.

مع تحياتي،
امرأة مطلقة، تبحث عن الأمل

٢

رِسَالة مِخبَأة في صندوقٍ قَديم، كتبتها أم تحمَّلت أعباء الحيَاةِ وحَدها ..

إلىٰ أطفالي الأعزَّاء،

أكتُب لكُم هذهِ الرسالة وقَلبي مليءٌ بَالحُبِّ والحُزنِ في آنٍ واحدٍ، لقَد تخلى عنَّا والدَكُم، وهذا ما كنت أخفيه عنّكُم لسنواتٍ طِوال، ولكن طفَحَ الكيَل، لَم يعد لديَّ قدرة لتحمل المزيد، نعَم.. تركنا نواجه الحياة بِمفردنا، ولكنَني قَررت أن أكون لَكم الأم والأب، السَند والملجَأ، لَم يكن الأَمر سَهلًا، ولَم تَكن الأيام رحيمة بِنَّا، كُنتم أنتم يا أحبابي دافعي الوحيد للاستمرار؛ للعيش بهذِه الحياة الكئيبة.. كل يومٍ أستيقظ قبل الفجر؛ لأجهز لَكُم الطَعام، أعملُ بِلا توقف، أتنقل بين الوظَائِف؛ لأوَفِر لَكم ما تحتاجونه، أحيانًا أشعر بالتَعَبِ يغلبني، ولَكن مُجرد رؤية ابتسامَتكُم تمنَحني القوة لمواصلة الكفاح، ولكن رُغمَ تخليَة والدكم عنّا، لكنه لَم يأخذ مني عزيمتي، أو حُبي لَكُم.

أطفَالي الأحباء،

أعلَم أنَّ الحياةَ لَم تَكُن عَادلة معنًا، وأنَكُم اضطررتُم لِتَحَمُلِ الكثير مِن المِعاناة؛ بسبب غياب والدكم، حَاولت أن أَخفي عنكِم صعوبات الحياةِ، وأن أجعل من بيتنا ملاذًا آمنًا لكُم، لكنني أحيانًا أضعف، وأشعر بأنَنِي لا أستطيع الاستمرار، في كُلِّ ليلةٍ، أَعِد نفسي بأن أستمر في الكفاح من أجلكم، أن أكون قوية لأجلكم فقط ..

أطفالي الغاليين،

إنَنِي أكتُب لَكُم هذه الرسالة؛ لأخبركم بِأَنني أُحبكم من أعماق قلبي، وأَعِدكم بأنني سأظل أُكافح من أجلكم مهما كانت الصعوبات، أعلَم أنَكُم ستكبرون وتفهمون كَم كانت الحياة قاسية علينا، ولكنني أؤمن أنكم ستفهمون أيضًا كم كَان حُبي لَكُم قويًا.

مَعَ كُلِّ حُبي وحنيني،

أمكُم المُكَافحة .

٣

وُجِدَت هذه الرِسالة في رِمال الصحراء الغَربية، في لَحظةٍ اختلطَت فيهَا الآمَال باليأسِ، كُتِبَت هذه الرِسالة ..

-الواحدة ظُهرًا بالتحديد

"رِسالة مُهاجر[1]"

إلىٰ بلدي العزيزة..

لَم أترُكَك بِملء إرادتي، ولكن تركتُكِ لِقلة حيلتي، ولأنني مغلوب علىٰ أمري، ولأن العجز تمكن مني وأنا بِسن العشرين، وبعدمَا وجدتُ نفسي مُقيدًا بِقلَة الفُرَص وكَثرَة العوائق، سعيت كثيرًا؛ كي أنال ترحيبك بي، ولكنكِ لَم قفلتِ أبوابك بوجهي، فما كان لي إلا هجرك ويا ليتها هجرة شرعية، أنا الآن في مُنتصف الصحراء، وبعد ركضٍ طَويل دام لأيامٍ تحت أشعة الشمس الحارقة، وبعدما نفذت جُعبتي من الماء .

أيُهَا الوَطن ..

حاولتُ مِرارًا أن أكون جُزءًا من نسيجك، لكنَكَ لم تفتَح لي ذراعيكَ، كَان عليَّ أن أتخذ هذا القَرار المَرير، وغَادرتُ ليس لأنني أكرهك؛ بل لأنني لَم أجِد بديلًا آخَر، الآن، هَا أنا ذا.. علىٰ بُعد مترات قليلة من ركوب الباخرة، وبعد ركضٍ طويل، شارفتُ على الوصولِ، تاركًا خلفي أهلي ومأواي، تاركًا أحلامًا دُفِنَت تحت الثَرىٰ، وأمنياتٍ لَم تتحقق، تحَمَلتُ كثيرًا عنَاء العمل بلا توقف، ورُغم ذلَك كان أجر العمل لا يسد جوع أُسرتي، بِتُ أيامًا كثيرة بدون طعام؛ حتى أُطعِم أطفالي الصِغار، طُرِدتُ من مهنٍ كثيرة؛ لأن شِهادتي لا تكفي، تحملتُ الكثير من السُخرية والاستهزاء، وكأي شابٍ كان لدي أحلامٍ أود أن أحققها، لكنها الحياة!

وقفَت كالشوكِ في حَلقي، فتنازلت عن الكثير من الأُمنيات، حتىٰ نفدت. آمل أن تكون خطواتي نحو هذا المجهول موفقة، وأن أحصل علىٰ حُريتي أخيرًا، وأن أعيش فقط، حياة تُليقُ بإنسَانيتي.!

٤

"رِسالة مُهاجر2"

لَم أكُن أنوي كِتابة هذه الرِسالة أبدًا، وكنتُ أريد كتابتهَا عند وصولي لِبلاد المال، ولكن لا مَفر، يبدو أن الموت يقترب، نسبة النجاةِ مِن هذهِ الباخرة تكاد تكون مُنعدمة، الجميع هُنا في حالةِ هَلعٍ وخوف، أرىٰ الآن أهوالًا، وكأنهَا القيامة، الصِراخ يعلو شيئًا فشيئ، الحقائب التي كَانت تحتوي علىٰ تحويشة العُمر، والمُر، والفَقر، وجُهد السنين، وبعضًا من الملابس المُهترئة، وصور تذكارية للعائلة، وسِجادة الصلاة، والمُصحف، وبعضًا من زجاجات المياة، كل ذَلك يُلقىٰ بدمعٍ مسكوب في هذا البحر الهَائج، الجميع هُنا يسعى للنجاة فقط، القادر على الحركة يُسند الضعيف، والذي لا حيلَة لَهُ يبكي بقهرٍ يُدمي القلوب، وما أدراك ما قهر الرِجال..

عائلتي الصغيرة فردًا فردًا كبيركم وصغيركم، أحبكم جِدًّا، أبدًا لَم يكن بُمخيلتي هذا الموقف، أن أموت قبل أن أُخبركم بِمدى حبي لكم!

إنه أمرًا لَم يكن بالحُسبانِ مُطلقًا..

أمي العزيزة يا بِداية الحُلو ومسك الختام، يا كل تحويشتي وعمري، أحبكِ يا أُمي.. أحبك بكل معاني اللغة من حُب، آهٍ يا أمي، كم أتمنى تقبيلك الآن من رأسكِ حتى أصابع قدمكِ!!

سامحيني يا أمي، سامحيني على تقصيري وعدم تلبية أوامركِ، يا ليتني عملتُ بكلامكِ ولَم أبتعد عنكِ، ولكن يا أمي أنتِ تعلمين قدر التعب، الذي تلقيته في حياتي بهذهِ البلد!!

أنا فقط.. كنتُ أسعى لتجميع المال الذي تحتاجينه لزيارة بيت اللّٰه الحرام، ألَم تريدين رؤية الكعبة ولمسها ؟!

أرجوكِ يا أُمي لا تبكين على وفاتي، ولا تسمحين لنساء العائلة بالصراخِ أو العويل؛ فهذا لَن يكون بصالحي، أوصيكِ بذلك، كم كنت أتمنى أن أموت بجانبك ولكنه القدر..

أختي الجميلَة..

سامحي أخوكِ، سامحيني على عدم تنفيذ وعدي لكِ، لا تسمحين للحياة أن تسرق منكِ براءتكِ وعفويتكِ، كنت أتمنى أن أُلبي لكِ كل إحتياجاتِكِ لبناء عش الزوجية، ولكنه القدر يا حبيبتي، أرجوكِ كوني بخير دائمًا، وبعد

إتمام زفافكِ على خير ومع أول مولود تضعينَه.. إحكي له عني، أخبريه أن خَاله يُحبه؛ لأنكِ أمه..

زوجتي الحنونة، وأم أولادي الأبطال

لستُ خائف على أولادي ما دُمتِ أمًا لهم، أعلَم أنكِ بمائة رَجل، وأنكِ ستكونين لَهم أبًا بدلًا مني، أنتِ مثال حيّ للزوجة الصالحة، ابنة الأصول، أحبكِ يا أم العيال، يا خير ما أهدتني الأيام، يا نصيبي الحلو، وراحتي و سكني، كوني قوية لأجلكِ، ولأجل تربية أولادنا، أعلَم أن الحمل ثقيل، ولكنكِ بإذن اللّٰه قادرة على حَملهِ، أستودعك اللّٰه يا قرة عيني..

أرجو من رب العالمين أن تصلكم هذهِ الرِسالةِ مع جثماني، ستجدون مع هذهِ الرِسالة وصيتي كتبتُهَا قبل أن أخطو هذهِ الباخرة.

والسلام خِتام.

٥

رِسالة مِن شابٍ توغَل اليأس قلبه .

كل شيء باهت، عاجز عن العَيش، ها هيَّ الحياة تسير ولا نلحقهَا، تمضي كلمحِ البصر، فنعيشُ كالأسرىٰ باختلافٍ بسيط!
السجن لسنا فيه، لكنه فينَا، القيود ليسَت بالأيدي، لكنهَا في القلوب!
نكِدُّ ونتعَب؛ حتىٰ شاخَت ملاحمنا، وفي النهايةِ لَم نَصِل..
الحياة قاسية، وبدلًا من استقبالها لنا - كشباب في مُقتبل العمر- بابتسامةٍ حنونة، كشَرت لنا عن أنيابهَا والتهمَتنا كَلُقمة سائغَة، نحن الشبَاب الذين من المُفترض أننَا نعيش زهرة حياتنا، كُتِبَ علينا الشقاء مُبكرًا، فمنَّا الذي يحمل همومه على عاتقهِ، ومنَّا الذي تُشقيه أفكاره وتسرق النوم من جفونه، ومنَّا الذي يُحسب للأيامِ مصائبها، ومنَّا الذي يبكي بقهرٍ لِقلة حيلته، كل ذلك وأكثَر يعيشه شباب هذا الجيل!
عن أي شبَابٍ تتحدثون، ونحن نعيشُ كالعجائز!

الشاب مِنَّا بدلًا من أن يحمل بين جوانب صدرهِ قلبًا ينبض بالحُبِ والعنفوان، يحمل قلبًا مليئًا بالحزنِ والأشجان، لسوء الحظ يعيش محروم من الحُبِّ لأنه؛ يعلَم عواقبه، والتي لا تكن غير الحسرةِ والحرمان..

٦

وُجِدَت هذه الرِسالة بينَ طيات كتابٍ قَديم، كتبتها يد رجل أنهكته الحياة واليأس.

إلىٰ عائلتي الحَبيبة،
أكتب لَكم هذه الرِسالة، وقلبي مليءٌ بالألَمِ والحسرَة، لَقد حاولت بكلِ ما أوتيتَ من قوةٍ أن أكون الأب الذي تستحقونه، أن أكون السَند والحمايةَ لَكُم، ولكنَنِي فشَلت، لَم أترك وسيلة إلا وجربتَها، ولا بابًا إلا وطرقتَهُ، لَكِن الحياة كَانت أقسى مما تحمَلت، كل يَومٍ كُنت أستيقظ علىٰ أملٍ جَديد، أن يكون هذا اليوم أفضَل، أن أتمكن من توفير ما تحتَاجونه، لكن في كلِ مرةٍ كُنت أعود خالي اليدين، أرىٰ في أعينِكُم الخَيبة والاحتياج، ولم أعُد أتحمل هذا الشعور بالعَجزِ، لَقد عملت بِجد، أكثَر مما يحتمل جَسدي، سعيتُ خلفَ كل فرصةٍ، لكن في كل مرة كَان الفقر يلاحقنَا، والديون تتَرَاكم، والأبَواب تُغلَق في وَجهِي، رأيتكُم تعانون، رأيت الجوع في عيونِكُم، وقلبي يتمزق لِقلة حيلتي ..

عائلتي الغالية،

لَم يكن قراري هَذا سهلًا، بَل هو أصعب قرار اتخذتَه في حياتي، أكتب لكُم الآن وأنا أعلم أن ما أفعله قد يكون صعبًا علىٰ الفِهم، ولَكنَنِي لَم أعد أتحمل رؤية الألم في أعينِكُم، لَم أعد أستطيع الكذب عليكُم بوعودٍ لا أستطيع الوفاء بِهَا.

أتمنى أن تفهموا، أنَني لم أتركَكُم بملء إرادتي؛ بل لأنني لم أعد أجد في نفسي القوة للمواصلة، أحبُكم من أعماق قلبي، وأتمنىٰ أن تسامحوني علىٰ ضَعفي وعجزي .

كونوا أقوياء، واستمروا في الحياةِ، وابحثوا عَن السعادة، التي لَم أستطع توفيرها لكُم، أنا آسف؛ لأنَنِي لَم أكن الأب الذي تستحقونه، ولكنَنِي سأظل أحبُكم حتىٰ النَفس الأخير لدي.

مَعَ حُبي الأبَدِي،

أبوكم المُنهَك .

٧

مِن برلين
ألمانيا ..

تلقيتُ رِسَالاتكِ كُلَّهَا، فمنهَا أسعدني، ومنهَا أشقى قلبي وأحزنه، قرأتُها وعِشتُ ما بِهَا من لذِّة الحُبِّ وأَلَم الكُره!
هَل حقًا نَفَدَ رصيدُكِ في الحُبِّ ؟
أم أنَّ الحِبرَ فقط هو الذي نَفدَ ؟
آمل أن يكون الذي نَفد هو الحِبر، ليس الحُب...

أعَلم أنهَا المرة الأولىٰ التي أكتبُ فيها لكِ، و إن شئتِ ستكون الأخيرة، أعلَم أيضًا أن كل ما يتعلق بي أو باسمي بات يُزعجك، وهذا بالتحديد يُقتلني في الثانية ألف مرة!

أكتِبُ لَكِ كما كَتب كَافكا إلىٰ ميلينا، وجُبران خليل جُبران إلىٰ ميّ زيادة، وغسان الكنفاني إلىٰ غادة السمان، كَكُلِ العاشقين الذين تَبادلوا الرسَائل، وخطَّتَ أيديهم ما تَكِنه أفئدتِهم..

عزيزتي الغالية..

أُحبكِ، وَجميع ما بهذا الكون لَن يمنعني من ذَلك، حتىٰ أنتِ..

حتىٰ أنتِ إن كُنتِ لا تقبلين بهذا الحُب، سأحبكِ بيني وبين قلمي وأوراقي ونفسي، لا أعلَم ما سبب تحول كلماتك من الحُب العَفيف إلىٰ هذا الكُره القاسي ؟!

أنا لَم أعهدكِ هكذا مِن قبل!

حَال بيننَا القَدر والنصيب، انقطعت أخبارِكِ لِسنتين كاملتين!!

وبعد بحثٍ طويل عن أخبارك، علمتُ بخطبتك من رجل غيري ؟ !

فمَا كان لي إلا الهجر، كان هو الحَل الوحيد الذي ألهمني البشر إياه، هجرتُ المدينة أولًا، ولَم أجِد سبيلًا لِلراحة، فَتغربت أكثَر، فأكثَر، فوجدتُ نفسي في بلدةٍ لَم أعهدها من قَبل!

أكثَر ما كان يربطني بِهَا، هو سِماع اسمها في التلفاز، واليوم أن أعمَل بهَا؛ كي أستطيع العَيش فقط.. وبعد كل ذلَك ها أنا عائدًا إلىٰ نُقطة

الصفر، وهَا أنا أُرحب بكِ منها.. لَم أنساكِ، وهذا يؤلُمنِي، هَل لكِ بطريقةٍ لنسيانك ؟!

"رسائل مِن إنسيٍّ واجِف "

١

-من مريض نفسي إلىٰ المُجتمَع وأفراده..

"مُجتمَع عقيم، مُعيق، يُعيق"

كل الأحَاديثِ بداخلي مكتومة، فكيفَ لي أن أُخرجها على ورقٍ ناصع البياض، والجدير بالذكر أن الأبيض يُتعب عيني، مُتعبة الحياة جدًا، حتَّىٰ أن أخر الحلول للبوح، تُرهقني أيضًا!

سؤال يراودني ويسرق النوم من عيني، لِمَ دائمًا المُجتمَع يرىٰ المرض النفسي عار!

رُغم أننا - المرضى النفسيين- ضحايا أفعالكم الشنيعة وعُقدكم النفسية، كل هذا وأكثَر مِن صُنع أيديكم، نظراتكم حارقة كالنيران، وألسنتكم تلدغ كالعقارب السَامة، تريدون أن نُطيع أوامركم، وأنتم تستنزفون قوتنا، و إن عصينَا أمرًا واحدًا نُطرد من رحمة المُجتمَع المُعيق، ما كان لنا إلّا الرضوخ والاستسلام، وهذا جعلنَا مُهمشين لا شخصية لنَا، فأبدعتوا في استخدامنا كالُعبة الماريونيت تمامًا، نتحدث عن الأمل ونحن يائسون

من الداخل، لا طاقة لي بذلك، أشعر بالمؤامرة ضدي، وكأنَّ الكون كلَهُ مُتفق على خنق الكلمَات بداخلي، بشتىٰ الطُرق أحاول النجاة من الإختناق، وبالنهايةِ لَم أنجح، حتى الذي كُنت أهرب من العالم إليه!

لَم يعد يستقبلني، كَ وسادتي التي كانت تبتلع دموعي، وحائط غُرفتي الذي كان يحميني من الأصوات العالية، ومحبرتي ودفتر يومياتي.. كل هؤلاء رفضوا أن ينصتوا لي، ملّوا وجودي، فَ برأيك لِمَ العيش بهذا المُجتمَع ؟!

ألَم نستحق أن نعيش خارج قيود المصحَات النفسية، وخارج نظرات وهمهمات المُجتمَع المُعيق هذا ؟!

ألسنا بشر مثلكم ؟!

دعنا من العتاب؛ فهو لَن يُجدي بشيء

ومرحبًا بالحُريَّة، مرحبًا بالإنتحَار.

٢

"كُنت دائمًا أُريد حياة بَسيطَة، فَمِن أينَ أتىٰ كل هذا التعقيد ؟!

صديقي العزيز،

لقَد كنت أتصَور الحياة كحقلٍ من الزهور البَريّة، بسيطًا وجميلًا، أركض فيه بِحُريةٍ، أستنشق نسيمَهُ العليل، وأستمتع بألوانهِ الزاهية لكن، تحَوّل هذا الحقلُ فجأةً إلىٰ غابةٍ كثيفةٍ، مليئة بالعراقيل والأشواكِ، التي تعترض طريقي في كل خطوة.

تخيل، يا صديقي، أنني أعيش الآن داخل متاهة متشابكة، حيثُ تتعقد الخيوط حولي كشبكةٍ عنكبوتية مَتينة، لا أستطيع الفِكَاك منها، كُلما حاولت أن أخطو خطوة نحو البساطة، وجدت نفسي أتعثَر في خيوطٍ من الأفكارِ المتداخلة، والهموم المُتراكمة كجبالٍ شاهقة، تنهَار فوق رأسي بلا رحمةٍ.

أعيش كطائرٍ حبيس داخل قفص ذهبي، قفص قد يبدو جميلًا من الخارج، لكنه يقيد جناحيّ، يمنَعني من التحليق نحو أُفق الحُريَّة التي لطالما حلمت بها، أبحث عن منفذٍ، عن ثقبٍ صغير في هذا القفص، لأهرب منه إلى عالم بسيط، خالٍ من التعقيدات التي تثقل روحي، وتكبل أحلامي.

إن الحياةَ التي أردتها كانت كالنهرِ الصافي، يجري بهدوء وسلام، يعكس بريق الشمس على مياهه الهادئة، ولكنني الآن أجد نفسي في خضم بحر هائج، تتلاطم فيه الأمواج العاتية، تحاول إغراقي في أعماقها المظلمة. أتشبث بكل طوق نجاة أجده، أبحث عن شاطئ الأمان، لكن الأمواج تستمر في دفعني بعيدًا عن بر النجاة.

لقد أصبحت أفكاري كالغابة المتوحشة، تلتف حولي كأفاعٍ سامة، تبث سمومها في عروقي، تمنعني من التنفس بحرية، كلما حاولت أن أجد طريقًا للخروج، وجدت نفسي أضيع أكثر في متاهة الظلام، أتعثر في جذور الخوف والقلق التي تغلغلت في أعماق نفسي.

أكتب لك هذه الكلمات، عسى أن تجد في قلبك صدىً لها، وأن تشعر بمعاناتي وتفهم مأساتي. إن البساطة التي أبحث عنها ليست حلمًا مستحيلًا، بل هي ملاذ الروح التي أنهكها التعقيد. لعلنا نجد معًا طريقًا للخروج من هذا المتاهة، ونستعيد تلك اللحظات البسيطة التي كانت تمنحنا السعادة والراحة.

دُمتَ لي صديقًا وفيًا.

٣

"الشيروفوبيا "

لا أخفيكم سِرًا.. أصبحتُ بِحالٍ مزرٍ، أهابُ كلِ شيءٍ جديد، أخشىٰ البدايات وأكره النهايات، وَ بِتُ مُعلقًا بينَ غياهب الظَلامِ، والهروب إلىٰ النورِ، مُتذبذِبٌ في الطريقِ، وكأنَ زِلزالًا ضُرِبَ في جوفي، نِدوبي الداخليَّة في تزايدٍ مُستمر، تزداد يومًا تِلو الآخر دون توقف، وحين تسمح لي الفُرصة بالفَرحِ ولو لِقليلٍ، أشعر وكأنَني مُقيد بأصفادٍ مِن فولاذٍ تمنع دخول السعادة لِقلبي المُدمىٰ!

لا أدري أي ذنبٍ اقترفت؛ ليكون هذا هو حالي ..!

ثِمة سؤال يُراودني كثيرًا، كَيفَ أنجو مِن لَعنةِ الشيروفوبيا المُلازِمة لي أينمَا كُنت ؟

كيفَ أحصل علىٰ السعادةِ دون خَوفٍ، أو قَلقٍ يمنعني من ذَلِك.. فقَط كيفَ أنجو ؟!

٤

رِسالة قبل الموت بثوانٍ قليلَة

أكتبُ أقَل مِمَّا أستطيع في الأونة الأخيرة،
وأصمت أكثَر مِما ينبغي لِمريض نفسي،
أُدخن السجائر كما لو كانت دواءً يشفي أسقامي،
تمَامًا كما حذرني الطبيب.. ألغاز كثيرة تزور عقلي،
تفتكُ به في الثانية ألف مَرة،
فأنا كلمَا حاولت فَك شفرات اللُغز الأول،
يُداهمني الثاني، فالثَالث، فالألَف،
فأسقط صَريع في قاعٍ عميق،
يسودهُ الظلام الحَالِك، وأنا غارقٌ بهِ مُنذ أن خُلقِت،
والنجَاة في الكِتابة، ولكن الكلمَات لَم تُسعفني،
أتمسّك بِقلمي، وأقبضُ قَلبي بيدي الأُخرىٰ،
أملًا أن تهدأ النخرات، التي تُفتك بهِ،

الـورق الذي أكتـب عليـهِ يُبكي دمًـا،
الدمـاء تتنـاثر، بل تَـندفع مـنه بِـقوة والقَـلم يَخط أوجاعـي،
عقلي يغلي كالمـاء، وقلبي يئن بالوجـع،
والنهَـاية تقتَـرب أكثَـر فأكثَـر،
أرىٰ نفسي محمـولًا على لـوحٍ خشبي،
وأنـاس كثيـرين يشيعـون جنـازتي،
عـويل النسـاء يـزداد وأنا أصـرخ ألمًـا من أصـواتهم العاليـة،
أغمـض عيني أملًا في النـوم، فأمـوت قبـل أن يهـدأ عقلي وأنـام.

٥

-يتَجرّع الألم كوسِيلةٍ لنَفاذ مُدة وِجُوده.

"رِسالة سُوداوية من شخص مُضطرب"

إلىٰ العائلة،
إلىٰ الأصدقاء،
إلىٰ أفكاري ..

"بي الآن رَغبَة عارِمة لِلإذعَان خَلفَ أفكاري الإنتحارية، ولكنني كالعَادة.. مُشتتٌ، مشاعري متضاربة، يصرخ في رأسي الكثير من الأصوات، التي تتعاكس فئة توافق والأخرىٰ تعارض، أعلم أن عقوبة تلك الأفكار ستكون واعرة، ولكن.. أنا حقًا أريد حلًا؛ لِقتل تلك الأصوات.. أريد أن أقتلع أشرعة سفينتي، وأنام قليلًا، ليومٍ أو إلىٰ أخرِ زفيرٍ يخرج مني، أريد الغوص داخل أعماق هدوءٍ تام، سكينة لا نهاية لهَا، لا أريد فلسفات مُبعثرة،

ولا أريد قلمي هذا، ولا ذلك الدفتر الأسود المُمزق من كثرة ما يحتويه من أشجانٍ، أريد أن تكون رحلتي هادئة ليس بها أحدٍ سِوىٰ الهدوء والنور، يكفي ما مضىٰ من العمرِ في الظلام، هَل لكم بذلك؟

أم أنَّ وجودكم في حياتي مُقتصرًا على تقديم النصائح المُزيفة ليس إلا ؟ !

أكرهكم، ولَن أغفر لكم أبدًا .

٦

"أيوجد وسيلة يستطيع الإنسان من خلالها الهروب من النزاعات، التي تحدث يوميًا داخل رأسه ؟"!

هَا أنا أكتبُ إليكَ من أعماقِ مُعاناتي، من قَلب عاصفةٍ لا تهدأ، ومن دوامة لا تَتَوقف عن الدوران، إنني كالسجين داخل عقلي، أعيش في ساحةِ معركةٍ دائمة، حيث تلتقي الأفكار المتضاربة، وتصطدم المشاعر المتناقضة في صراع لا ينتهي.

إن رأسي، يا صديقي، هو ميدان لا يَعرف السكون، كموجٍ هائجٍ في بحرٍ مُتلاطم، تتقاذفني أمواجه من جانب إلىٰ آخر بِلا رحمة، أو رأفَة، أُحاول البَحثِ عن لحظة هُدنة، عن لحظة سَكِينَة، لَكن سُرعان ما أجد نفسي غارقًا مرةٍ أُخرى في خِضم النزاعات التي تشتعل بداخلي ولا تخمَد أبدًا. أحيانًا أشعُر كأنَنِي أسير في متاهةٍ مُظلمةٍ، حيث تتراكم الجدران حَولي، وتسد عليّ كُلِّ طريقٍ.

أفكاري كالأشباح تطاردني، والقلق كالغيمة السوداء يحجب عني شعاع الأمل، أرغَب في الهروب، في الخروج من هذا السجن العقلي، لكنني أجِد نفسي مُحاصرًا، مكبلًا بسلاسل لا تُرى، لكنها تثقل كاهلي كُل لحظةٍ، أشعر أنَ عقلي قَد انقسَمَ إلىٰ جبهات متناحرة، وكل جبهةٍ تسعىٰ لِفَرض سيطرتها علىٰ الأُخرىٰ، وفي بعضِ الأوقاتِ، أسمَع أصواتًا مُتداخلة تتجادل وتتنازع، كأنها جيوش تتصارع في ساحةِ حربٍ لا تنتهي، أشعر بالإرهاقِ، وكأنَنِي جُندي مُنهَك لَم يعرف الراحة منذُ سنواتٍ، يُقاتل في معركةٍ خاسرة، لا يلوح في أفقها أي أمل بالانتصار.

فَأتساءل: هَل هُنَاك وسيلة للهروبِ مِن هَذهِ النزاعات؟
هَل هُناك ملاذ أستطيع اللجوء إليهِ لأجد فيه السَلام؟
أم أنَنِي محكومٌ بالبقاءِ في هذا الجحيم الداخلي إلىٰ الأَبَد؟ أبحَث عن طوق نجَاة، عن شُعاع ضَوءٍ يخترق هذه الظلمات، لكنَنِي أعود خائبًا كل مرةٍ.!

أعلم أن رسالتي هذه قَد تكون ثقيلة الوطَأة علىٰ قلبِكَ، لكنني بحاجة إلىٰ أن أفرغ هذا الكأس المليء بالمرارةِ، أحتاج إلىٰ أن أشعر أن هناك مَن يفهمني، مَن يشعر بآلامي، ومَن يشاركني هذه الرحلة الشاقة.

آمَل أن تجد كلماتي صدىً في قلبك، وأن تكون لي عونًا في هذه المحنة، لعَل الصداقة تكون الجسر الذي أعبر من خلاله إلىٰ بَر الأمان، ولعلَ الكلمات تكون البلسَم الذي يُخَفِف مِن حدة هذا الصِراع .

دمت لي صديقًا وفيًا.

٧

"رُبـمَّـا تَـكُـنْ الأخيـرة"

لَـم أزعجك أبـدًا بعـد هذهِ الرِسـالة؛ لأنهـا الأخيـرة قبـل المـوت. .

- 11 October.

مرحبًـا يَـا عزيزي...
أمَـا بَـعد:

"أعرف تمام المعرفة شعور من حارب بكل ما أوتي من قوة، لأجل حلم كان يريده، ثم فاق على كابوس تبخره".

تَلقيت مِنـكَ هذهِ الكلمَـات ردًا علىٰ ما أخبـرتَك بـه مِن قصـص حياتي المأساوية، وجئت أخبـرك أنك مُحق لا شك في ذلك ..

أخي العزيز،

أكتب إليكَ هذه الكلمات، وأنا أحملُ في قَلبِي أعباءً من الآلام والخذلانِ، لقد كان لي حُلم، حُلمٌ عِشت لَهُ، وبَذَلت في سبيلهِ كُلِ جُهدٍ وَوقتٍ، حُلم كَان يُضيء لي دِرُوبي المظلمة، ويَمنحني الأَمَل في غدٍ أفضل لكن، ويا للأَسَفِ، استيقظت منهُ علىٰ كابوسِ تَبخره، وَوجدتُ كُلِ مَا سَعيت مِن أجلهِ، ينهَار أمامي كَالرَمادِ في مَهب الريح، لقد كانت مُعاناتي عميقة، تفوق الوَصفِ، وكأن جبلًا من الهمومِ قَد أُلقيَّ علىٰ كَتفي، شَعرتُ بِالخَيبة تَتَسلل إلىٰ رَوحِي، وبالخذلانِ يطوقَني من كلِ جانبٍ، كُنت أرىٰ نَفسي كجندي عَاد من معركةٍ خسَرها رُغم شجاعتَهُ وبسَالتهُ، جندي يَقف وَسط مَيدان الفشَل، يتساءل عن جَدوىٰ كُلِّ تِلكَ التضحيات، يا أخي، إنَّ شعور الخذلان هو الأشَد مرارةً، حينما ترىٰ كُل مَا بنيتَهُ يتَهاوىٰ، وتُدرك أنَّ كُل جهدكَ لم يَكن كافيًا؛ لتحقيق ما تصبو إليه، وفي النهَايةِ هَا أنا الآن، أقف عاجزًا أمام واقع مَرير، واقعٌ لا يعتَرِف بِأحلامي ولا بجهودي، أعتذر منكَ.. أعلم أن رسالتي هذهِ تحمل الكثير من الأحزان، ولكنَني رُغمًا عني أكتبُ لَكَ لِأُشَاركَ مُعاناتي، وأجد في كلماتكَ عزاءً وسندًا، وأَعدَك أن تكون هذهِ الرسالة أخر رسائل الأحزان.

رسائل لَم يطوِهَا النسيان

١

أمي العزيزة،
أُحدثكِ الآن من "الماضي"

أفتقدكِ يا أُمي، وأفتقد صوتك في بيتنا، نعَم يا أُمي.. لقد عُدت لبيت العائلة، وهنا أنا الآن أكتُب لكِ من مكانكِ المُفضَل - أجلس على الأريكة وأنظر للمَارة من النافذة المُطلة علىٰ الشارع- كل شيءٍ هُنا تغيَّر يا أُمي، فلم يعد هُنا - في البلد - عم حسَن بائع الحلوى أو غزل البنات كما يُقال عليه، ولا الأطفال الصِغار يلعبون في ردهة المنزل، ولا نساء البلد يجلسنَ أمام البيت للسهر، ولا حتىٰ يخبزن في الفُرن البلدي، التغييرات قَد حدثَت وانتهىٰ كل شيءٍ ذو رائحة طيبة، فَالعم حسَن قَد مات، وأولاده هاجروا خارج البلاد؛ فلم يعد في البلدِ أي حلوى نبتاعها، الأطفال الصِغار كبروا ومنهم مَن استقَر في القاهرة ومنهم مَن هاجر خارج مصر، النساء أصبحوا عجَائز وفقدوا شبابهم وتفرق شملهم بسبب الهَرِم، والأفران هُدِّمت، والماضي انجلىٰ، الحياة فقدت رونقهَا بموتك، فشَاخَ

الشبَاب، وذبُلَت الورود، الجميع يا أُمي يهرب من الماضي إلَّا أنا أرغب بالعيشِ فيه طِوال حياتي، ذلك الماضي الحنون الذي كان به كل شيءٍ خَفيف كالفراشات، ورَّثَ حاضر أسود ثقيل كالجبَال، مشحون بالحُزنِ كقَلب الثُكَالىٰ تمامًا، فأين المفَر ؟.!

٢

"أبِي العزيز"

كنتُ دائمًا الابنَة المُدللة لديكَ، وكُنت دائمًا سِر قوتي وسعَادتي، وفي طفولتي الجميلة ـليتها تعود يومًاـ لَم تكُ تريد لي الشقاء، ولَم تُحزني أبدًا بقولٍ أو بِفعل، لا أعلَم ماذا حَدث عِندما كبرت؟

هَل توقفت عن حبك لي؟

أم لأنكَ لَم تعُد تراني الطفلة المُدللة، التي تُبكيهَا الأصوات العالية ؟!

أريد أن أخبرك أنني أشتاق لتدليلكَ لي، بِمُناداتك المُحببة لقلبي "ابنة أبيهَا"،

لِمَاذا يا أبي لَم تعد تُخبرني أنَني ابنتَك، وحبيبَتك؟

هَل سئمتَ مِني؟

هَل أنسَاتك الأيام الصعبَة، أيام الماضي الجميلة بيننا؟

أبي.. أعلَم أنَّك مُتعَب، وأن الحياة نالت مِنَكَ ما نالت.. ولكنني خائفة يا أبي، توغل الخَوف بقلبي، حتى أكله وجعله لا يُصلح لأي شيء، سِوى الخَوف.. عندما كنت صغيرة، كنت تُخبرني ألا أخاف ما دُمت بجانبي، وأبدًا

لم أشعر بالخوف بحضرتك، كأن الخَوف يخشاك، واليوم ها أنتَ بجانبي بالفعل، ولكنني أخاف من الحياة عامةً.. أين أنتَ من كل ذلك؟

أين ذلك الرجل الذي كان يحميني، ويلقي علىٰ قلبي السكينة.. كان وجودك هو مصدر الآمان.. وجود حذائك أمام باب بيتنا الدافئ، كان يطمئنني أن كل شيء سيكون على ما يُرام. صوت المفاتيح عند دخولك البيت بعد يوم طويل في الدوام، كان يُزيل خوفي وقلقي.. الآن كل شيء تغيّر بالتدريج حتىٰ بات مُرعبًا لي. صوت عصبيتك الزائدة أصبح يُتلف أعصابي، وتذمرك الكثير على أفعالنا، أصبح يُفقدني ثقتي بنفسي، وتوبيخك المُتزايد، أصبح يؤلم قلبي!

سؤال واحد يا أبي.. لِمَ لا تُحبنني، لِمَ تُفضل الغُرباء عليّ دومًا؟

لِمَ أنا دائمًا بنظركَ الابنَة العَاقة، رغم أنني لا أُعصي لَك أمرًا!

لِمَ تقسي عليَّ، وتُعاملني مُعاملة الأعداء!

ألهذهِ الدرجة تكرهني؟

لِمَّ كل ذلك يا أبي ؟!

هل أنا ابنة بشعة إلى هذا الحد الذي يُغضبك؟

يؤسفني أن أقول أنني أكره تعاملك القاسي معي.. ورُغم كل ما فعلته وما ستفعلهُ.. أعتذر لك، وأتوسل إليك أن ترضى عني، وأعدك ألا أثير غضبك ثانيةً فقط.. لا تُخيفني مرةً أُخرىٰ،

أنتَ لا تعلم كمَّ الألم الذي يلقاه المرء، عندما يلقى الخَوف مِن مصدر طمأنينته!

٣

"أخي العزيز"

أكتبُ إليكَ بِحروفٍ أرهقتهَا الدموع، وبشَغفِ الاشتياقِ والحُب الذي يملأ قلبي نحوك، لا داعي لِمقدماتٍ لا تُسمِن ولا تُغني من جوعٍ، أعلم أنكَ في أسوء حالٍ يا عزيزي، وهَذا يصيب قلبي في مقتلٍ كل ثانيَّة والأخرىٰ، وأنَا أيضًا في حالٍ مزرٍ بدونك، كتبتُ إليكَ كثيرًا، ولكنني أعلم أن رسائلي لم تصلك بعد، وآمل أن تصلك هذة الرسَالة؛ علَّها تُضمِد ندوبك بدلًا عن يدي المبتورة بِفعل الضَعف!!

أشتَاق إليكَ جِدًا يا عزيز قلبي، وأعتذر لَك علىٰ ضعفي وقلة حيلتي، لا حيلة لي إلَّا الدعَاء، لَم أنسَاك أبدًا في أي صلاةٍ وأي سَاعة استجَابة، أدعو اللّٰه في كل حينٍ أن يرجعك لي ويقر عيني برؤيتكَ، كم تمنيّتُ لو أنني يمكنني تخفيف ألمك ومشاركتك العقباتِ التي تواجهها يوميًا، لكنني أنا أيضًا محصورة في خِضم معارِك الحيَاة، كُلمَّا يمُر الوقت، تتزايد أحزاني والأسىٰ يبتلِع قلبي بدون رحمة، أحَاول جاهدةً أن أحَافظ علىٰ ذكرياتنا الجميلة

بعيدًا عن ديجور الحيَاة، ولكن الزمن يُعاندني ويحاول أن يلتهمها بِعدم الحَاضِرة، أعلم تمام العِلم أن الحيَاة بالنسبةِ لَك ما هِيَّ جحيم، أعلَم جزءً من معاناتك خَلف قُضبَان الحيَاة القاسية، تِلك التي تُحاصِركَ بالبؤسِ والكآبةِ، تعلم يا عزيزي ؟!

الحيَاة بالخَارج لا تختلف كَثيرًا عن الحيَاة بالسِجنِ، هُنَا في الخَارج نشَاهد فصول الحيَاة متشَابهة، الجميع يتضور ألمًا مِن الظُلمِ المُحيط بِنَا، ولكن علينَا ألَّا نتلفظ بِبنت شِفة، أو نُعَارض أي فعل يؤخذ تجَاهنَا، حتىٰ إن كَان هذا الفِعل يقتلنَا بسكينٍ لا حدٍ له، هُنَا بالخَارج الشَاب أصبَح في هيئة كهلٍ هزمته الحيَاة، هُنَا تُسلب مِنَّا الأحلام عُنوةً، وتموت البَراءة والمروءة، هُنا يَكمن الظُلم أيضًا.

ولكَن يَا عزيز قلبي رُغم كُل هذَا، أُنَاشِدكَ بِأن تظَل صَامدًا، أن ترفع رأسِك ولا تُطأطهَا لِبشرٍ قِط، يُمكنَك أن تُهزِم العقبَات، عَزِز نفسِكَ دائمًا ولا تُقَلِل أبدًا مِن قوتَك الخَارقة، فأنتَ استطعت التغلب علىٰ كثيرٍ من الصعوبات والتحديَات، ويمكنك أيضًا أن تتغلب علىٰ هذهِ المِحنَة، وتأكد أنك ستخرج مِنهَا بِمنحة ربَانية، لا تقلِق بشأنِنَا هُنا، فَسنكون دائمًا

بِجوارِكَ، وسندعمكَ وسنحميكَ بأرواحِنَا، واعلم أن هذا الانفصَال القاسي لَن يدوم إلىٰ الأبد، وسيأتي اليوم الذي تعود فيه إلىٰ أحضَان الحُب والحُرية، وحتىٰ ذَلِك الحين، لن أتوقف عن إرسَال رسَائلي ودعواتي إليكَ أيُهَا العزيز الغَالي، ابقَ صَامدًا؛ فأنتَ لستُ وحدكَ، أنا مَعك وقلبي معك خَلف قضبان السجن.

فكَ اللّٰه أسرك بالعز..

٤

"صديقي الخائن"

أمَّا بَعد..

إلىٰ صديقي الذِي خَذَلنِي، وطعنَنِي في مَصدرِ طمآنِينَتي.. أكتُب لكَ ويَدي تَرتِجف، كَكُلِ مرَّةٍ يملأ الحُزن قَلبي، مَا يؤلِمُنِي لَيسَ فقَط آثَر الطَعنَة، بِقدر مَا يؤلُمنِي أنهَا مِنكَ!!

يَا إلَهِي، أهَذهِ هِيَّ الوعود التِي قُطِعَت بينَنَا؛ كيلا يهجُر أحدُنَا الآخَر!!

أهَذهِ هِيَّ التفَاصيل التِي عشنَاها معًا، والضحَكاتِ والطُرقَاتِ التِي شَهَدت علىٰ حديثُنَا وخططُنَا المستقبَليَّة ؟!

دعنَا مِن هذهِ التفَاصيل الآن، أعِدُكَ ألَّا أكتُب لكَ ثانيةً، وأن تكون هذهِ هِيَّ المَرَّةُ الأخيرة، التِي يدفعنِي قَلبي لِلكتَابةِ عنكَ، أمَّا عن هذهِ الكلمَات؛ فَهِيَّ ليسَت عِتَابًا يَحِفَهُ النَدمُ، ولكنهَا جنَازتكَ بِقَلبي التَعيس، الآن أحمِلُكَ إلىٰ مثوَاكَ الأخير، بعدمَا ساعدتني أنتَ بِحفرِ قبركَ، أضعُكَ فيهِ بتريثٍ وأُهيلُ عليكَ الذِكريَاتِ التِي صنعنَاها سويًا، مَعَ بِضعًا مِن

حروفِي التِي كُتِبَت لكَ سَابقًا، والآن أتركَكَ بِدون وداعٍ آخير، أتركَكَ لِكلماتي تُعذِبُكَ كيفمَا تشَاء، ولِلذكريَاتِ تسلتذُكَ وجبةً شهِيَّةٌ لهَا، بطريقةٍ وحشيَّة لا تُليقُ إلَّا بِكَ، أنتَ مَن أقمتُ الحَد عليكَ، ومَا كَان لي إلَّا تلبيَّة رَغبتُكَ، الآن أُقيمُ عزائك، ليسَ حُبًا بِك، ولَكِن لإتمَام مراسيم موتِكَ، والبقَاءُ للّٰهِ الواحد الأحد، أمَّا أنتَ عَظَمَّ اللّٰهُ أجرِكَ.

٥

"رِسالة مِن أحد الباعة الجَائلين"

طفل في العاشرة من عمره ..

ـإلىٰ قارئ رِسالتي أوصيك بنشرها قدر الإستطاعة.

)ورد يا هانم.. ورد يا بيه(

حقيقةً أنا لا أملكُ تعريفًا دقيقًا عن نفسي، ولكن دعني أُخبرك القليل، وأرجوك اعذرني على بشاعة الخط، وعلى الأخطاء الإملائية؛ فأنا تعلمت الكِتَابة وحدي والقراءة أيضًا، كانت عيناي تشع بريقًا عندما أرى الأطفال وهم عائدون من مدارسهم، بزيهم الرسمي وحقائبهم المدرسية، لَم أحقد عليهم أبدًا، ولكنني تمنيتُ لو أنَّ حظي كان أوفَر؛ حتى أكون مثل هؤلاء الطلاب، تعلمت الكِتابةِ سريعًا، ومن ثُمَّ القراءة على يدِ صديق لي، كنتُ أفيق في السادسة صباحًا وأبيع الورد في المترو والشوارع المُزدحمة، لَم يُتعبني السير على الأقدام، ولا حرارة الشمس الحارقة، ولا صافرات السيارات، ولكني ما كان يؤلمني هي نظرات الشفقةِ من الناس أحيانًا، ونظرات

الإشمزاز في أحيانٍ أُخرىٰ، رُغم أنني لم أتفوه مع البشر إلا بكل جميلٍ "ورد يا هانم، ورد يا بيه، وردة جميلة للآنسة الجميلة؟"

كُنتُ أستمع لهمهمتَهُم شفقةً عليَّ، فينزف قلبي دمًا أحمر ويلطخ الورود البيضَاء، فأرسم ابتسَامة مُرغمة وأبيع الورد ... لا أطلب منكم الكثير فقط لا تقتلوني بسكينٍ بارد، قولوا قولًا طيبًا أو اصمتوا؛ لأن نظراتكم تؤلمني.

٦

رِسالة مِن بائع المناديل

ـإلىٰ مَن تقع عينيهِ على رِسالتي..

هذهِ المهنة ليسَت كأي مهنةٍ يُسترزق منهَا المَرء، و إنمَا هي تعبيرًا عن الحظ التَعِيس، وقِلة الحيلَة، أرىٰ الحياة وهي تمضي سريعًا كَالبرقِ، وأراها وهي تتلكأ عن المرور، كالسُلحفاةِ تمامًا، أيُهَا السَادة المَارين كِفوا عن تصويب نظرة الإشمزاز نحوي، كفوا عَن إيذائي بألفاظكم السَامة، أنَا لستُ وباءً ينتشر؛ كي تبتعدوا عني، إنمَا أنا بشرٌ مِثلكُم، وضعني القدر بِهذا المكَان، أفترش الأرضِ، والسلالِم، ومحطَات المترو، وكل مكَانٍ أتجول بهِ؛ بغيًا للعيش بهذِهِ الحيَّاة اللعينة، كُتِبَ عليَّ القِتَال وحيدًا، وليس عندي ما يؤوييني من فواجع القدر، ليس عندي ما يسد جوفي إن لَم أبيع هذه المناديل، أبيتُ تحت أي كوبري إن وجدت، و إن ابتعدتُ أغفو على نفسي بالشوارع، كل هذا ليس مُهم؛ فأنَا مُعتادة على القسوة مِن الحيَاةِ لكل ما فيهَا، سيدي القارئ أنا أستمع لجميع البشر إن أرادوا البوح عمّا يُحزنهم،

أستمِع لِشكوات الناس عن الأسعار التي ترتفع كل ساعةٍ عن سابقتها، وأسمع من الطالباتِ أن الإمتحانَ جاءَ صعبًا وبأسئلةٍ تعجيزيَّة غير متوقعة، ومن الأبِ أن تربية الأولاد أصعب من تربية الإناث، وأن المعاشَات لَم تزِد هذا الشهر، وأن درجة الحرارة اليوم وغدًا ستكون مُرتفعة جِدًا، ومِن الأُمِ أنّ ابنتها ترفض الزواج وصديقاتها، اللواتي بنفس عُمرها تزوجن وأنجبنَّ أطفالٍ صِغَار، ومن الشبَاب الذين يَكِدّون، ولكنهم رُغم سعيَهم يروا أحلامهم وهي تُدفن بدلًا مِن تحقيقهَا، سمعت الكثير والكثير مِن الحكايا المؤسفة والمُحزنَة، و واسيت الكثيرين وجفَفَتُ بمناديلي دموع الجميع، ورُغم ذلَك لَم أجِد مَن يُجفف لي دموعي، شُكرًا لَكُم بَني البَشر، يؤسفني قسوتكم عليَّ.. كُنتُ أنتظر منكم الرأفة بحالي، كنت أنتظر رؤية ابتسامتكم بوجهي، بدلًا من رؤية أحذيتكم، وهي تدعس مصدر رزقي الوحيد.. الحياة ليسَت عادلًا أبدًا وهذا أكبر أسفًا.

٧

رِسالة مِن طالبة عِلم
إلىٰ العائلة أولًا والمُجتمع بِدايةً وخِتامًا...

عائلتي الكريمة لَم أكتُب رِسالتي لملومتكم، وإنمَا لأخبركم بأن الحياة ليسَت عادلة، وأُعني بذلك أنَّك تبذل فيهَا أقصىٰ جهدك، وفي النهايةِ يا مسكين لا تصِل!
تُعاندك الحياة حاضرها ومُستقبلهَا، تُعلَّق الأحلام على شِراع سفينتها؛ فتأتي الرياح بما لا تشتهي، وتغرق الأحلام في بحر الحياة الهَائج، فَالحياة بالنسبةِ لطالب علمٍ بدأت منذُ أن تَعَلَمَ الأبجديَّة، ومنذ ذلك الوقت وهو يحلَم، ويا ليتَه لَم يفعل، مكَثَ بعد كُلِ مرحلةٍ دراسية يَبني أحلامًا، حتَّىٰ فَاق من الحلمِ علىٰ كابوسٍ يُدعى الواقعية، كالبُركانٍ تمامًا ظَلَّ خامدًا طِيلَة سنوات دِراسته، وعند خط النهايةِ ثَار البُركان وأولَ مَا التهمَهُ كان حُلم الطفولة الذي مكثَ يُبنيه، ولسوء حظه التحقَ بجامعة لَم يُحبهَا، ولَم يكُ يومًا يتخيَل أن القدر سيقوده للدراسةِ بهَا، فغُلِبَ على أمرهِ، وبعد عدد

سنين تخرج منهَا بفرحةٍ ناقصة، وبشهَادةٍ لا تُسمن ولا تُغني من جوع.. ورُغم مرارة الفُقدان كان لهُ نصيبًا من اللوم، والعتاب و رُبما الشماتة من بعض الحاقدين، وإن تفوه بكلماتٍ يُدافع بها عن نفسه؛ أُطلقت زِمام الأَلسنة، فيسمع من الجميع ما لا يُرضيه، فَيحمَل خيبَاته علىٰ عاتقه، ويصمت، ويكد ويتعب في مكَانٍ لا يستطيع تقبله.. ويُدفن أحلامه دون تشيع جنَازتها.

رسائل كُتِبَت لأجلك

عزيزي القارئ كل ما كُتب هِنا، فهو لأجلك.

١

عَـزيـزتي ابنـة حـواء

أكتُـب إليـكِ

نعَـم أنـتِ دون غَـيرك، رُغـم أني لا أعـرفك، وكذلك أنـتِ، أردتُ في رِسالتي هذهِ أن أُخبـرك بأمـرٍ هام، يُمكـن أن يُخرجك من حالة الشتَـات، التي تستـولى على تفكيـرك، عـزيزتي الـرائعـة.. لكِ مني كل السَّـلام والحُـبِّ، ولِقلبـكِ الجميـل، ولِروحكِ الطيِّبَـة، ولعينَـاكِ الرائعتيـن أكتُـب لكِ.. وأول ما أخبـرك بهِ هـي بُشـرىٰ لَـكِ، أن مَـا زارك في يـومٍ مِن هَـمٍ وحـزن، لَـم يكـن إلّا رحمـةً من ربِّ العالميـن بكِ..

وثانيًـا..

أريـد أن أقـول لكِ أنَّـكِ عـزيزة، كفاكهـةٍ صيفيَّـة لا تحضـر بكل المـواسـم، و إن حَضرت بموسـمهـا ابتغَـاها الجميـع، فلا تُقللي من شأنـكِ أبـدًا.. ولا تسمحي بغيـر العِـزَّة.. لا تـكوني خَفيفَـة تُحركها كلمة وتنسـاق ورائهَـا، بل كـوني

مُتمركزة، مُتأنية، لا تسمحي أن تُحركك رِسالة من أحدهم، فما أكثَر القول، ولَكن يا عزيزتي الفعل شحيح..

ثالثًا:

تذكري دائمًا أن ما بقلبكِ يُعكَس على وجهكِ الصافي، فلا تحملي بقلبكِ أي حزن؛ حتى لا يشيخ وجهكِ مُبكرًا..

أعيريني قلبك..

للحظَاتٍ قليلَة، سأُلقي عليهِ محبةً مني، والكثير من التحصينات المُباركة، سأُخبره ألّا يفتح بابه لغير صادق في الفعل والقول، وأن يظَل هكذا بريءٌ وطاهر.. ابتسمي دائمًا فهناك مَن يُحبك ويحزن لحزنك.

٢

"رُبما تصل إلىٰ ذويها[1]"

كَيف حالك، أيتُهَا اللطِيفة، مرحبًا بِكِ.

أعلَم أنَّ الحيَاة لا تخلو من العثراتِ والعقبَاتِ؛ لِذلكِ جئتُ كي أُخبركِ أنَكِ حقًا امرأة عظيمة، كونكِ تحملتِ وقاومتِ مشقات الحيَاة؛ فأنتِ رائعَة، كفَراشةٍ رَقيقَة بقوة مُحَارب، وهذا المزيج الرائع لا يليق إلّا بكِ، رُبَّما قَد لَاح في خَاطركِ في أيّ وقتٍ مضىٰ، أن الظروف ضِد أحلامك، ولَكِن دعيني أُخبركِ أمرًا هامًا لِلغَاية؛ ألّا وهو أنَّ اللّه العَزيز لَم يَضِع في قلبُكِ رَغبَةً في الحصول لحلمٍ ما، إلا وهو مُقَدر لكِ الوصول لِهذا الحُلم، لا تسمحين للقَلقِ أن يستلذكِ كوجبَةٍ له، فالأحلام وجميع ما بِهذا الكون بيدِ قَادر مُقتدر، و حدهُ سُبحَانه القَادر علىٰ تحقيق حلمكِ، كما أنَّ لَكِ نصيحة مِن عابرة سبيل لا يجمعك بِهَا أي شيء، نصيحَتي لَكِ هي؛ أن تستعيني باللّه فقَط، في جُل أمور حيَاتك، لا تضعين ثقَتكِ بِبشرٍ قط، ولا تتركينَ نفسُكِ في مَهبِ الريَاح تفعل بكِ ما تشَاء، وكوني صاحبة القَرارت، لا

تسمحين لأحدٍ أن يُحركك؛ حتىٰ لا يكون النَدم حليف حيَاتك، فواللّه لا يوجد أصعب من لحظَات النَدم، يوم يَعض المرء علىٰ يديه، فالكلمَات والأفعَال لا تُصلِح للمواساة، وأخيرًا أيتُهَا اللطِيفة.. لا تسمحين للحُزن والمشَاعر السلبية أن تُدخِل قلبك، أبدًا.. أبدًا، وكوني بخير دائمًا.

ـعابرة سبيل

٣

عَـزِيزَتي "لينـا"

كَـيف حَـالـكِ؟

لَقـد صَمدنـا عامًـا كـاملًا يـا عزِيـزتي، وهَـذا أعظَـم شيءٍ يَـجِب أن نفتخِـر بِـه، فِي ظِـل الأحداث التِي تدعـو المَـرء لِتنفيـذ خِطَتـهُ الانتحَـارِيَّـة، قَـاومنَا وتعايشنَـا مـعَ واقعنَـا المـؤلِم، أهَـذَا قليـلٌ بنظـركِ؟

كـلا واللّـه؛ إنَّـهُ فِعـلٌ غظيم جِدًا، فِي هـذه السَنـة تعلمنَـا الكَثيـر مِـن الدروسِ الحيَـاتيَّة الصعبـة، ومـررنـا بِمـواقف أكثَـر صعـوبة وألمًـا، خَـلقت مِنَّـا نسخَـةٌ بَـاهتـة المعَـالِم، كمَـا أننـا قَـاومنَا البُكـاء مِـرارًا وتِكـرارًا يـا لينَـا، ولَـن أنكِـر أننـا بالنهايـةِ بكينـا، أوقفنَـا السيـر لحظَـاتٍ ومـراتٍ عَـديدَة، ولَكِـن تخطينَـا العثَـرات عنـوَةً، وأكملنَـا المسيـر، هَـذهِ الحيـاة ليسَـت عَـادِلة البتَـة، ورغـم ذَلِك حفرنـا على جدران عقـولنا "أن علـىٰ هـذهِ الأرض مَـا يستحِق الحيـاة" يقتلُنَـا اليـأس، ونـدعو النَـاس للأمَـل، نعـلَم جيِّـدًا نِهَـايـة الرِحلـة، ومـعَ ذَلـك قـررنَـا ألَّا نتخلىٰ عـن خـوض التجربـة، نشـرَح للأخـرين كَـيفَ تسيـرُ الحيـاةِ، ونحـنُ لا نفهَـم أنفسنَـا، ولا نعـرف إلىٰ أيـنَ تمضِـي الحيـاةُ بِنَـا، نَـدعَم أحـلامِ

الأخَرين ونُوَجِّه بوصلة سفينتهم للمكَان الصحيح، وسفينَتُنَا بِدون أشرعَة، تسيرُ بِنَا كيفمَا أرادت الرياح، والآن أخبريني يا لينَا أليسَ كل ذَلِك يستَحِقُ أن نفتخِر بِه ؟!

أهم ما تعلمتَهُ مِن دروس السَنة الماضية؛ هو ألّا أستصغِر أي موقف مررتُ به، وأي فِعلٍ اتخذتَهُ، فَا لو لا صِغائر التجَارب ما تعلمتُ أكبَر الدروس؛ فأنَا أحقُ مَن يعيشُ التجربة ويتعلم منها، لا بُد أن نقدر أنفسنَا ونُعزِزُهَا؛ لأنَ لا أحَد سيفعَل لَكَ ذَلك سِوالك.

٤

"رُبما تصل إلىٰ ذويها[2]"

السلام على قلبك يا عزيزي

أخبرني كيف تبدو لك الأيام، أتُسير على وتيرةٍ واحدة، أم إنها تترنح على حافة الهاوية؟

وددتُ أن أكتبُ لك عن الأمل الذي مَلَّ قلمي من السرد عنه؛ فهو الذي يمحو أثار الخذلان من فُؤادي، ولكني في ظل سهوتي وتمرير نظري بحثًا عن أي نورٍ يدعوني للأملِ مرةً أخرى؛ وجدتُ ديجورٍ صنديد، كما لو كُنا في قُتمة الليل، وددتُ أيضًا لو أبوح لك عما يكمن بأغواري، ولكن الأمر يُشبه الهيج كثيرًا؛ نيرانُها كثيرة ورُمادُها أكثر، فعن ماذا أبوح وأكتب وأنا لا أعلم ما بداخلي!

ولكن ما أتيقن من علمهِ هو؛ أن جوارحي باتت تنزف دمًا من شدة الألمِ، تلك الجروح التي طالما حاولت ألا أعبث بها علَّها تُشفى وتلتئم، وكلما حاولت أتناسى أسباب جروحي تلك نسيتُ أن أنسى، فأنا في كل مرةٍ حاولت بها

النسيان؛ بائت محاولاتي بالفشل وتجرعتُ من كأسِ الذكرياتِ علقمُها، فأنا لا أنسى أنا أحاول التجاوز فقط؛ فالنسيان لا يستغرق وقتًا فقط، بل يستنزف قلبًا، ونبضًا، وذاكرةً، وعمرًا كاملًا، فمِن أين أأتِ بكل ذلك وأنا الذي فتكت به الذكريات وأصبح كالرُفات ولم يَعد يُصلح لأي شيء؟ .

٥

أمَّـا بَـعد..

كل شيء في حياتِنـا يُمكـن أن يكـون سِلاحًا ذو حديـن لذا؛

فالمصـاعب أيضًـا سلاحًـا ذو حديـن،

يُمكنهَـا كسـر المَـرء،

ويمكنهَـا أيضًـا جعله أكثَـر صلابـةً وقـوةً لذا؛

لا تـرىٰ الأمـور من جانبٍ واحـدٍ،

يقينًـا باللّـه رحمـة اللّه الـواسعة ستشمَـلك،

سيجعَـل اللّـه من ضيقـك مخـرجًـا،

ومـن همـك فرجًا،

ومِن وجعـك وضعفـك جبـرًا،

ثِـق دائمًـا باللّـه، فمَـن وثَـق باللّـه فاز فـوزًا عظيمًـا.

٦

سَلامٌ طيَّب لِقلبك يَا عزيزي؛ أمَا بَعد ..

لدي الكثير مَا أخبرك بـه؛ لِيطمَئن قَلبَك.. وأول مَا أبدأ بـهِ هو تذكيرك بأن لن يدوم البؤس أبدًا، و إن الحيَاة بِطبيعتها مُرهقة وعسيرة، ولكن في النهايةِ يا عزيزي ما أتى عُسرٌ إلا عقبهُ يُسرٌ وفير، وتذكر أن لا تخفى عن ربك خَافية؛ فَهوَ عليمٌ خَبير بذات الصدور المُتأججة في جَوف الليل الليلكي، أعلم أنَك مُنهك وأن قواك قد خَارَت، أعلم أيضًا أن عينَاك تاقت بالدموع حتى ذبلَّت.. ولكن ابصر بقلبك قليلًا ستجد أن ما زال هُناكَ مَن يُحبك ومَن يفخر بِأقل إنجازاتك، لا تيأس يَا صاح.. أنتَ حيّ وما زال للحلم بقيّة، احلم كطَائرٍ حُر، واسعى لِتحقيقه دون أن تنتظر نتائج سعيَّك.

٧

إلىٰ متى ؟ !
نعم أُحدثكَ، إلىٰ متىٰ ستظل تُعطي بلا مُقابل؟ !
إلىٰ متىٰ ستظل تُحِب دون أن تُحَب؟ !
إلىٰ متىٰ ستظل مِعطاءِ لأناس بُخلاء في مشاعرهم وكل ما يملكون؟ !

المشاعر لا تُجَدد بمرورِ الوَقتِ، إن نفدت لَن تستطِع اِسترجاعها.. لِما تُهلِك قلبك وتستزف طاقتك في المكان الخطأ ؟ !

يجب أن تكون أكثَر حذرًا من ذلك ..
المُعاملة بالمثلِ مُريحة لكيلا الطرفين، فلا تُعامل بغيرها.. الإهتمام المُفرط؛ مُتعب
فلا تخطو خطوة و إلّا بِحسابٍ، ولا تكن الطرف الأكثَر حماسة؛ حتى لا تُبكيك الأيام على حماسك، واهتمامك، وحُبك، وعطائك.

عزيزي ..

يُليق بك أن تكون نِجمًا يُشع ضوءًا في سَمَاءِ التُعساءِ؛ نُجمًا بعيدًا لا يُهاب نوائب ومكائد البشر، يُليق بِكَ الورد الذي لا يموت، يُليق بك أن تكون سعيدًا في كلِ وقتٍ؛ لأن الحُزن لا يمتُ لكَ بِصلةٍ؛ فلا تجعل الحزن يومًا ما يُحالفك؛ عزيزي القارئ لا تجعل كلمات هؤلاء الحَمْقَىٰ تُفسِد عليك الإستمتاع بحلو الأيام ولُطفِها؛ وكُن لَطيفًا تحلو لك الأرض بما رَحُبت.

الخاتمة

عـزِيزي قارئ هـذا الكِتـاب ..

آمـل أن تكـون وصلتَك رِسالـة واحدة علىٰ الأقَـل من هذا البـريد الرَوحي، كُـل حَـرفٍ كُتِبَ في هـذا الكِتـاب،
كُتِبَ بـروحٍ تعـشق الـورق، وتعشَـق الرسائـل من الغُـرباء تحـديدًا
الحيـاة مليئَـة بـالرسـائل، أرجـو مِنـك أن تقرأها قبـلَ فـوات الأوان .

تمت بحمد اللّٰه

٢٤ يوليو ٢٠٢٤

خديجة عوض